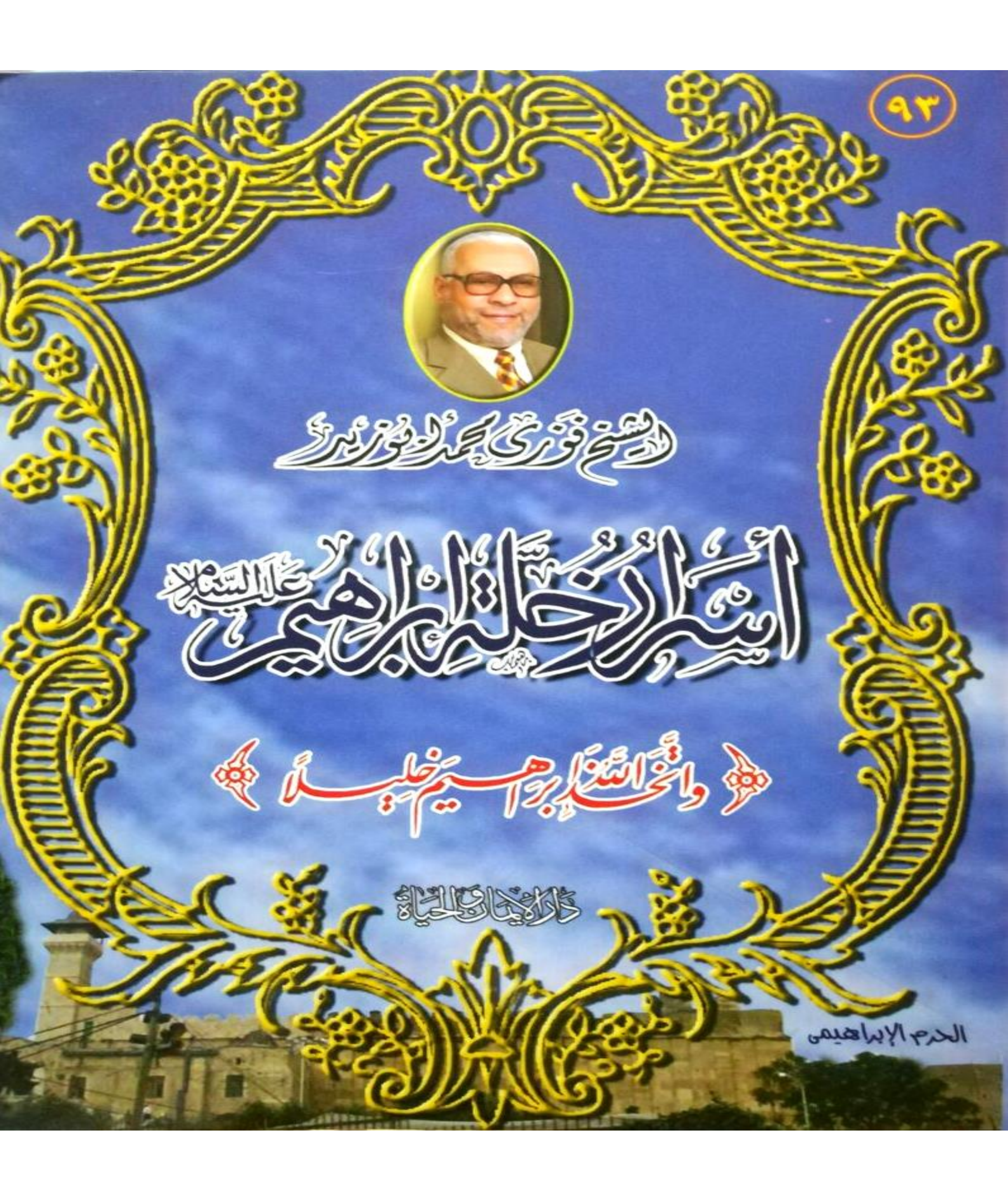

٩٣
الشيخ فوزي محمد أبو زيد
أسرار رحلة إبراهيم عليه السلام
واتخذ الله إبراهيم خليلا
دار الإيمان والحياة
الحرم الإبراهيمي

(93)



﴿ واتخذ الله إبراهيم خليلا ﴾

(النساء125)

فضيلة الشيخ
فوزي محمد أبو زيد

دار الإيمان والحياة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن إبراهيم كان أمة

الكتاب	أسرار خلة إبراهيم عليه السلام
المؤلف	الشيخ فوزى محمد أبوزيد
طبعة أولى	29 يناير 2016م ، 19 ربيع الآخر 1437هـ
الترتيب	الثالث والتسعون من الكتب المطبوعة
السلسلة	شرح الصدور، الكتاب العاشر
داخلى	192 ص:12 سم* 17 سم* 80 جم*1
غلاف	250 جم كوشيه مط، 4 لون سلوفان مط
إشراف	دار الإيمان والحياة، 114 ش 105 ، المعادى، القاهرة، ج م ع، ت:
إيداع محلى	2016/3039
ترقيم دولى	978-977-90-3772-1
طباعة	مطابع النوبار بالعبور

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، رفيع الدرجات ... ذو العرش المجيد ... يُلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق، والصلاة والسلام على الحجة العظمى لله على الأنام، والشفيع الأعظم لجميع الخلائق يوم الزحام؛ سيدنا محمد وآله الكرام، وصحابته العظام، وكل من تبعهم على هذا الهدى على الدوام، وعلينا معهم أجمعين، آمين يا رب العالمين.

وبعد .... جعل الله ﷻ الأنبياء والمرسلين رسلاً من عنده للناس مبشرين ومنذرين، وجعلهم حجج الله القائمة على خلقه، فمن اتبعهم هُدِي إلى الدين الإلهي القويم، والطريق المستقيم، وكان له حياة طيبة في الدنيا، وسعادة وهناءة وفوزاً في الدار الآخرة، سر قوله عز شأنه: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ (النحل).

ومن أعرض عنهم وخالفهم ضل وغوى، وكان له في الدنيا معيشة ضنكاً، وفي الآخرة عذاب أليم، سر قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ (طه) ... ولذلك أيَّد الله رسله بالمعجزات إقامة للحجة على من خالفهم، وتثبيتاً لقلوب أتباعهم وأنصارهم ... ولكن من العجب أن الله ﷻ ابتلى الأنبياء والمرسلين بكل أنواع البلاء ... وذلك من أجل:

- **أن يرفع قدرهم، ويُعلي شأنهم، ويقيمهم في مقاماته العلية عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام .**
- **وكذلك ليكونوا خير أسوة لأحبابهم وأتباعهم الذين يطمعون في بلوغ الدرجات العلى عند الله ﷻ في دار الدنيا أو فى الدار الآخرة.**

ومن هنا فقد قص الله ﷻ علينا وعلى حبيبه محمد ﷺ قصص الأنبياء والمرسلين، وكشف سرها ﷻ فقال: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ (هود).

فكان شراب الرجال أهل الوصال هو قصص الأنبياء والمرسلين؛ تخفف عنهم وقع كل بلاء، وتكشف لهم العطاء المخبأ في البلاء، وقديماً قيل:

((لا عطيَّة إلا بعد بليَّة، ولا منْحَة إلا بعد محْنَة)).

والخليل الله إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام القدح المُعلَّى في هذا الباب، فهو أشد الأنبياء بلاءاً بعد رسولنا الرءوف الرحيم ﷺ، ولذلك فهو أرفعهم مقاماً، وأكرمهم درجة عند مولاه بعد الحبيب الأعظم ﷺ.

فنجد الله ﷻ يقول في شأنه: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلاً ﴿١٢٥﴾ ﴾ (النساء) ومرة أخرى يخاطبه مباشرة فيقول له سبحانه:﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ (124البقرة) ونجده ﷻ يعدِّد كثيراً من آيات فضله ونعوت وصله فيقول: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ ﴾ (النحل).

ونحاول في هذه العجالة غير المخلة أن نلم ببعض البلاءات التي تعرض لها نبي الله إبراهيم وما واكبها من لطف إلهي، وما ترتب عليها من عروج في مقامات القرب إلى الله، ونرسم للسالكين الطريق القويم الذي يمشون على هداه، ليكونوا عاملين بقول الله: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ ﴾ (4الممتحنة).

فهو كتاب جامع لما صحَّ من سيرة الخليل إبراهيم، وكاشف للألطاف الخفية في بلاءاته الدنيوية، ومُبرِّز لمقامات قربه من رب البرية، وموضح للقاصدين والواصلين الطريقة السوية، الموصلة إلى المقامات الإبراهيمية، والتي إذا تحقق بها العبد أُلحق بالمقامات المحمدية فنسأل الله ﷻ أن يمن علينا بذلك، وأن يجعلنا من الذين يعملون بذلك، ويُرفعون إلى هنالك، ونردد قول الإمام أبي العزائم ﷺ:

من خمر نور جمالك	ومن رحيق وصالك
شربت صرفاً فهمت	وهام أهل كمالك
وأصبح القلب نوراً	والقلب قد كان حالك
ومُبشري قال هيا	قم فالحما لك سالك
فسرت وهو إمامي	حتى وصلت هنالك
ناديت يا ليت قومي	قد يعلمون بذلك

﴿ رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴾ (83-89الشعراء)

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله المباركين وصحبه الطيبين وأتباعه الغر الميامين أجمعين ... آمين يا رب العالمين.

الإثنين 1 ربيع الآخر 1437هـ، 11 يناير 2016



البريد : الجميزة . محافظة الغربية ،جمهورية مصر العربية
موقع الإنترنت: WWW.Fawzyabuzeid.com
البريد الإليكترونى: fawzy@Fawzyabuzeid.com
fawzyabuzeid@hotmail.com,
fwzyabuzeid48@gmail.com,
fawzyabuzeid@yahoo.com



الْفَصْلُ الأَوْل:–

مقامات سيدنا إبراهيم عليه السلام

العبرة من حياة إبراهيم

حقيقة أبى إبراهيم

عبادة التفكر

دعوته الحكيمة لقومه

إن في المعاريض لمندوحة

محاججته لعبدة النجوم والكواكب

مقام الخلة


منهج الدعاة الصادقين
أدب الخليل مع مولاه
المنح الإلهية للخليل إبراهيم
سبيل المنح الإلهية
مسئولية الداعي نحو أسرته
قصة الفداء
تكريم الله لإبراهيم
الذبيح إسماعيل

الفصل الأول[1]

مقامات سيدنا إبراهيم عليه السلام

الحمد لله الذي من فضله وكرمه وجوده على عباده المؤمنين أن جعل لنا ولهم رسلاً هادين مهديين، أئمة نقتدي بهم في طريق الوصول إلى رضاء رب العالمين، فله الحمد وله المنة على أن جعلنا من أُمَّة المسلمين، وجعلنا مشمولين في قوله سبحانه وتعالى:﴿ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ (78الحج)، والصلاة والسلام على أول المسلمين، وإمام المتقين، وسابق المقربين، ومفتاح باب القرب للأولياء والصالحين والأنبياء والمرسلين؛ سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

لعل من حِكم الله ﷻ التي لا تُعد ولا تُحد أن الله ﷻ أمرنا جماعة المسلمين أن نتذكر أبا الأنبياء إبراهيم وأفعاله وأحواله مع ربه، ومع قومه، ومع زوجاته وأولاده كل عام، لأن في ذلك أسوة لنا ينبغي أن لا تفوت أي رجل همام يرجو أن يكون من المقربين عند الملك العلام ﷻ.

العبرة من حياة إبراهيم

ونحن جميعاً نستمع دوماً إلى سيرته، حتى أن كثيراً منا قد حفظ – لكثرة سماعه – سيرة أبي الأنبياء إبراهيم، لكن نريد أن نطبق قول الله: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾(111يوسف)، لذلك نريد أن نأخذ العبرة من حياة إبراهيم، في أمرين هامين لكل مراد لله ﷻ.

الأمر الأول : في كيفية وصوله إلى أعلى مقامات القرب من الله، وما الذي عمله وفعله لينال ذلك؟ لعلنا يكون لنا أجمعين نصيب في ذلك.

وثانيهما: إذا أكرمنا الله ﷻ بقربه ومودته، وجمَّلنا بجمال أحبته، وأمرنا أن ندعوا أهل الخصوصية إلى القرب من حضرته، فنتعلم كيف ندعوا الخلق إلى الله؟ وكيف نسير بالمقربين إلى الطريق الذي يحبه الله ﷻ ويرضاه؟.

وينبغي في ثنايا ذلك أن نقف وقفة لا بد لنا منها عند النقول التي رواها الأئمة حتى الفحول، وننقيها من الروايات الإسرائيلية، ومن الخزعبلات اليهودية التي دخلت في هذه القصة، مع أن الله ﷻ ذكرها باستفاضة وتوسع في الآيات القرآنية.

---

1 المعادي – الخميس 17 من ذي الحجة 1436هـ 2015/10/1م

فقد ذكر الله ﷻ سيدنا إبراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم السلام في أكثر من خمسة وثلاثين موضعاً في القرآن، وكلها بإسهاب وتفصيل.

لكن تحتاج إلى أن يقرأ الإنســـان القرآن بعد خروج الأكوان من قلبه، وتعلقه بذات الحنان المنان ﷻ، ليُفيض الله ﷻ عليه من عنده حقيقة معاني القرآن، لا يقف عندها بفكره، فإن الفكر عاجز عن فهم كلام الخالق ﷻ: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ ﴾ (255البقرة) **كيف أُحَكِّم عقلي في كلام ربي ﷻ؟!! ولكن الأمر كما قال سلفنا الصالح ﷺ: إذا قرأت كتاب الله فلم تفهم شيئاً فاخرج عن حولك وطولك وقوتك وكِلْه إلى حضرة الأول يُعلِّمك الأول ﷻ:**

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ (282البقرة).

ونحن في كلامنا عن ســـيدنا إبراهيم لا نذكر الخلافات، وإنما نأتي بما اتفق عليه أهل العلم الثقات الأجلاء.

حقيقة (أبى) إبراهيم

سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام ولد في بابل بأرض العراق، وهناك أقوال يختلف فيها أهل العلم الظاهر، ولا يختلف فيها أهل العلم الباطن، لأنهم يعلمون الحقائق مباشرة من الله ﷻ ومن قرآنه، مَنْ أبو سيدنا إبراهيم؟ هناك أكثر من عشر آيات في القرآن يخاطب فيها إبراهيم أباه، ولم يذكر إسمه إلا في واحدة ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ ﴾ (74الأنعام).

العلماء أهل البصيرة قالوا:

- وُلد إبراهيم يتيماً.
- وأبوه الذي رباه هو عمه.

وممن تبنى هذا الرأي في عصرنا وجاء له بالأدلة المعجزة الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله، فقال:

الحجة الأولى:

لو كان أبوه فلم يكن هناك داعي لذكر آزر، لكن كلمة (آزر) تدل على أن هذا أب غير العصب، أي عم، وآيات إبراهيم مع أبناءه توضح أن العم أب: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ﴾ (133البقرة) وإسماعيل عمه، لكن ذكره على أنه أب.

الحجة الثانية:

هذا الأمر معروف ومتداول إلى وقت قريب، فقد كان في القرى يقول الأولاد أبي فلان، وأبي فلان، لأعمامه الذين يسكنون معه في المنزل، وهذا الوضع العربي الذي نزل به كتاب الله بلسان عربي مبين.

الحجة الثالثة:

قال الله تعالى في نبينا صلوات ربي وتسليماته عليه:﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ (219الشعراء) لم يتقلب منذ آدم إلى عبد الله إلا لساجد لله، غير ساجد لصنم أو كوكب أو ما سواه.

وعمه الذي كان معه والذي رباه كان يصنع الأصنام ويبيعها، وهو الذي كان في كل الحوارات في الآيات القرآنية يرد بشــدة على ســيدنا إبراهيم عندما يدعوه إلى توحيد ذات الله ﷻ، لأنه كان مستمسك بعبادة الأصنام، حتى أن سيدنا إبراهيم كان سأل الله أن يستغفر له، فلما وجده مُصراً على كفره لم يستغفر الله ﷻ له.

وهذا مشهد من المشاهد التي لا نتوقف عندها، ولا نكثر الحديث فيها، ولا نجادل فيها، وإنما نأخذ العلم من العلماء الأتقياء لأنفسنا، ولا نشغل بالنا بما يقوله غيرهم، فلا داعي للجدال في مثل هذا الأمر.

وُلد إبراهيم في أرض العراق، وكان أهلها يعبدون الأصـــنام، وكان يُطلق عليهم الكلدانيين، وكان من جُملة صُنَّاعها أبوه!

وعلَّمنا أبو الأنبياء كيف يتدرج الداعي إلى الله ﷻ مع قومه؟ وكيف يتدرج الســالك في طريق الله مع نفسه ليفتح عليه مولاه؟.

عبادة التفكر

السالك في طريق الله أول عبادة ترزقه الخشية والخوف والخشوع لجلال الله.

العبادة المنسية في زماننا وهي عبادة التفكر، وهذه أول عبادة فُرضت على الأنبياء وأتباع الأنبياء، بل العبادة التي كان يتعبد بها الحبيب ﷺ عندما كان يخلو بنفسه في غار حراء، يقول كُتَّاب السيَر: كان يخلو بنفسه ويقف أمام الغار ويتفكر؛ يتفكر في خلق نفسه، ويتفكر في الكون الذي خلقه ربه، ليهتدي بذلك إلى واجب الوجود ﷻ، وهي التي قال فيها الله لنا ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ (53فصلت) وهذه عبادة النظرة التي تتبعها الفكرة وتليها العبرة، نظرة ففكرة فعبرة يقول تعالى:

﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (101يونس)، ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴾ (24عبس)، .....:انظر للمراحل التي مر بها حتى يصل إليك ...: ﴿ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَـٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَـٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ (عبس) ....،﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ ﴾ (الطارق).

يوجه القرآن إلى النظر بفكر ويقين، ويقول فيه ﷺ:

{ تَفَكُّرُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ } [2]

والساعة إذا ذُكرت في حديث النبوة فتعني اللحظة، وليس الستون دقيقة، كساعة القيامة أي لحظة القيامة كما قال تعالى في كتابه الكريم : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ (55الروم).

فتفكر ساعة يعدل عبادة سنة في النوافل والقربات وقيام الليل وصيام النهار وغير ذلك مما يهتم به كثير من الناس الآن، ويحسبون ذلك ويسجلوه ويكتبوه وكأنهم يريدون أن يحاسبوا الله ﷻ على ذلك، لكن أين حساب الله عندك؟! ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ (18النحل)!!

أين هذه الكشوف؟!.

---

2 الفوائد المجموعة للشوكاني

نعمة واحدة ذكر حضرة النبي ﷺ أنها عدلت وزادت عن عمل خمسمائة عام، قال:

{ خَرَجَ مِنْ عِنْدِي خَلِيلِي جِبْرِيلُ آنِفًا، فَقَالَ:يَا مُحَمَّدُ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، إِنَّ لِلَّهِ عَبْدًا مِنْ عَبِيدِهِ، عَبَدَ اللَّهَ تَعَالَى خَمْسَ مِائَةِ سَنَةٍ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ فِي الْبَحْرِ، عَرْضُهُ وَطُولُهُ ثَلاثُونَ ذِرَاعًا فِي ثَلاثِينَ ذِرَاعًا، وَالْبَحْرُ مُحِيطٌ بِهِ أَرْبَعَةَ آلافِ فَرْسَخٍ، مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ.، وَأَخْرَجَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ عَيْنًا عَذْبَةً بِعَرْضِ الأُصْبَعِ، تَبَضُّ بِمَاءٍ عَذْبٍ، فَتَسْتَنْقِعُ فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ، وَشَجَرَةَ رُمَّانٍ تُخْرِجُ لَهُ كُلَّ لَيْلَةٍ رُمَّانَةً، فَتُغَذِّيهِ يَوْمَهُ، فَإِذَا أَمْسَى نَزَلَ، فَأَصَابَ مِنَ الْوَضُوءِ، وَأَخَذَ تِلْكَ الرُّمَّانَةَ فَأَكَلَهَا، ثُمَّ قَامَ لِصَلاتِهِ، فَسَأَلَ رَبَّهُ ﷻ عِنْدَ وَقْتِ الأَجَلِ أَنْ يَقْبِضَهُ سَاجِدًا، وَأَنْ لا يَجْعَلَ لِلأَرْضِ وَلا لِشَيْءٍ يُفْسِدُهُ عَلَيْهِ سَبِيلا، حَتَّى بَعَثَهُ وَهُوَ سَاجِدٌ، قَالَ: فَفَعَلَ، فَنَحْنُ نَمُرُّ عَلَيْهِ إِذَا هَبَطْنَا، وَإِذَا عَرَجْنَا، فَنَجِدُ لَهُ فِي الْعِلْمِ أَنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُوقَفُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ ﷻ فَيَقُولُ لَهُ الرَّبُّ: أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، فَيَقُولُ: رَبِّ، بَلْ بِعَمَلِي، فَيَقُولُ الرَّبُّ: أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ، بِرَحْمَتِي، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، بَلْ بِعَمَلِي، فَيَقُولُ الرَّبُّ: أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ، بِرَحْمَتِي، فَيَقُولُ: رَبِّ بَلْ بِعَمَلِي، فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ لِلْمَلائِكَةِ: قَايِسُوا عَبْدِي بِنِعْمَتِي عَلَيْهِ وَبِعَمَلِهِ، فَتُوجَدُ نِعْمَةُ الْبَصَرِ قَدْ أَحَاطَتْ بِعِبَادَةِ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَبَقِيَتْ نِعْمَةُ الْجَسَدِ فَضْلا عَلَيْهِ، فَيَقُولُ: أَدْخِلُوا عَبْدِي النَّارَ، قَالَ: فَيُجَرُّ إِلَى النَّارِ، فَيُنَادِي: رَبِّ، بِرَحْمَتِكَ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: رُدُّوهُ، فَيُوقَفُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَيَقُولُ: يَا عَبْدِي، مَنْ خَلَقَكَ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا؟ فَيَقُولُ: أَنْتَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: كَانَ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِكَ، أَوْ بِرَحْمَتِي؟ فَيَقُولُ: بَلْ بِرَحْمَتِكَ. فَيَقُولُ: مَنْ قَوَّاكَ لِعِبَادَةِ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ؟ فَيَقُولُ: أَنْتَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْزَلَكَ فِي جَبَلٍ وَسَطَ اللُّجَّةِ، وَأَخْرَجَ لَكَ الْمَاءَ الْعَذْبَ مِنَ الْمَاءِ الْمَالِحِ، وَأَخْرَجَ لَكَ كُلَّ لَيْلَةٍ رُمَّانَةً، وَإِنَّمَا تَخْرُجُ مَرَّةً فِي السَّنَةِ، وَسَأَلْتَنِي أَنْ أَقْبِضَكَ سَاجِدًا، فَفَعَلْتُ ذَلِكَ بِكَ؟ فَيَقُولُ: أَنْتَ يَا رَبِّ، فَقَالَ اللَّهُ ﷻ: فَذَلِكَ بِرَحْمَتِي، وَبِرَحْمَتِي أُدْخِلُكَ الْجَنَّةَ، أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ، فَنِعْمَ الْعَبْدُ كُنْتَ يَا عَبْدِي، فَيُدْخِلُهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ، قَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ: إِنَّمَا الأَشْيَاءُ بِرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى يَا مُحَمَّدُ }[3]

3 الحاكم في المستدرك والبيهقي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه

من الذي يستطيع أن يسدد فاتورة الكهرباء للعين، أو فاتورة التليفون للأذن وغير ذلك؟! لو دخل الإنسان في هذا المجال لسلَّم لمولى الموال، وعلم أنه لا حول له ولا طول له إلا بقوة الله ﷻ ورعاية الله وطول الله ﷻ.

ولذلك هذه بداية المقربين، وهي بداية الأنبياء والمرسلين، وهي بداية كل الصالحين.

ذهب جماعة من الخوارج إلى أم الدرداء، وهم كما نعلم يهتمون في كل زمان بالاستكثار من العبادات الظاهرة، والأحوال الظاهرة، فيطيلون اللحية ويلبسون الجلباب، ويطيلون القراءة في الصلاة، ويكثرون من الصيام، لكن لهم قلوب خاوية من الصفات التي يحبها الملك العلام، وهذا هو الأساس !!!، فذهب هؤلاء إلى أم الدرداء وسألوها عن أفضل عمل لأبي الدرداء ﷺ، فقالت:

{ قالت: التفكر، وروى طول التفكر، وروى التفكر والإعتبار } [4]

وحضرة النبي ﷺ أعطى لهذا الرجل لقباً نبوياً فقال:

{ عُوَيْمِرٌ حَكِيمُ أُمَّتِي } [5]

حصل على لقب حكيم: ﴿ يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ﴾ (269البقرة).

فكانت عبادة كل أصحاب رسول الله ﷺ والصالحين الصادقين من بعدهم التفكر والتدبر والإعتبار:

﴿ فاعتبروا يا أولى الأبصر ﴾ (2الحشر).

فسيدنا إبراهيم تفكر أولاً في طريق مولاه، وأخذ ينظر بفكره وقلبه وعقله إلى ما حوله من الكائنات، وارتقى في هذا المقام حتى انفتقت عين قلبه وأصبح بعدما كان ينظر في الملأ الملكي الدنيوي ينظر في الملكوت:

﴿ وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين ﴾ (75الأنعام).

إذاً من أراد الوصول فعليه بعبد موصول، وعليه بحفظ الأصول، وأول أصل من الأصول أن تقتدي بالحبيب المصطفى ﷺ، ومَن على شاكلته من الفحول وأولهم سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام.

---

4 عن سالم بن أبي الجعد عن أم الدرداء مصنف ابن أبي شيبة
5 المطالب العالية لابن حجر

ينظر الإنسان كما قال سيدنا أبو الحسن الشاذلي ﷺ، واسمعوا وعوا:

فحدِّق أعين الإيمان وانظر ترى الأكوان تُؤذن بالنفاد

فمن عدم إلى عدم مصـــير وأنت إلى الفنا لا شك غاد

انظر بعيون الإيمان، أي عمِّر القلب أولاً بالإيمان ثم انظر النظرة التي تقربك إلى حضـــرة الرحمن!

لكن إذا كان القلب مملوءاً بالدنيا الدنية، فكيف ينظر نظر عبرة إلى الآيات الكونية المُنبثَّة في دنيا الله ﷻ؟! نظرة لا فيها عبرة ولا فكرة، لكن لا بد أولاً أن يُخلص القلب، خلِّص القلب من سواه تراه، بعدها قل بوجد وبصدق بالقلب واللسان يا الله.

فسيدنا إبراهيم بدأ أولاً بالتفكر، ولذلك قال:

﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ (260البقرة)

يريد أن يرى حكمة صـنع الصـانع في مصـنوعاته، فأمره الله ﷻ أن يأتي بأربعة من الطير، ويذبحهن ويُقطعهن، كل طائر أربع قطع، ويضعهن مختلفات على أربعة مواضع على الجبل، ثم أعطاه الله الإذن من عنده أن يقول للشيء كن فيكون:

﴿ ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾ (260البقرة)

وهذه طيور تطير، لكن حتى يكون الأمر أكمل فقد أتيناه ســعيا، وعندما دعاهم انضــم كل جزء إلى أصله، وجاءت الطيور من الأربعة مواضع سائرة على قدميها إلى عنده، يريد أن يصل إلى مقام اليقين.

وحضـرة النبي ﷺ يسَّـر الله لنا ببركته هذا الأمر فجعلنا نصــل إلى مقام اليقين بالمداومة على الذكر بإخلاص وصدق لرب العالمين:

﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (28الرعد)

لكن شرط ذلك :

أن يكون الذكر ....

بإخلاص ...

ويقين ....

حتى نكون من الموقنين ......

دعوته الحكيمة لقومه

نفس البداية في دعوته، عندما كان في العراق كانوا يعبدون الأصنام، ﷺ، فأراد أن يُثنيهم عن عبادة الأصنام!

وانظر إلى طريقته الفذة في دعوة عمه إلى الله ﷻ في سورة مريم: ﴿ يَٰأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴾ (42مريم) :

- ناداه أولاً (يا أبت) خطاب حنان وعطف يرقق القلب، ويجعله يستجيب!
- ﴿ يَٰأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ ﴾ (مريم)!
- رد عليه بقسوة لكنه قال له: ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴾ (47مريم).

انظروا إلى أسلوب الدعوة إلى الله:

- فلو اتبع الدعاة هذا الأسلوب الحكيم هل يتخلف عن اتباعهم حتى كفَّار عنيد؟!!
- أسلوب استعطاف واسترقاق واسترحام، وحتى عندما ردَّ عليه بالشدة قابله باللين:

﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ ﴾ (مريم).

هذا النص يحتاج إلى أن يكون دستوراً للدعاة إلى الله ﷻ في كل البقاع والأصقاع إلى قيام الساعة:

- فهذا أسلوب الدعوة إلى الله.
- وهو والذي لخصه الله ﷻ في قوله لحببه ومصطفاه منزهاً له عما يتحلى به الدعاة في عصرنا هذا:

﴿ ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر ﴾ (آل عمران159).

- إذاً الداعي إلى الله لا بد أن يكون لطيفاً ورحيماً.
- ولا يقول إلا قولاً كريماً:

إن كان مع أبيه، أو مع عمه، أو مع زوجته، أو مع أخيه، أو مع قريبه، أو مع جاره، أو مع أي فرد من المسلمين، أو مع أي رجل حتى من الكافرين !!!!:

لأن هذا أسلوب الدعوة الذي بيَّنه الله ﷻ للمخلصين، وجعل لنا أئمة نقتدي بهم؛ أبأ الأنبياء، وسيد الرسل والأنبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام.

إن في المعاريض لمندوحة

فلمَّا لم يســـتجب له أبوه ولا قومه، أراد أن يجمعهم في يوم واحد في وقت واحد ليقيم الحجة عليهم جميعاً، والداعي إلى الله لا بد أن يكون في بدايته في مقام الفدائية، لا يخش إلا الله، فخرجوا في يوم عيد لهم خارج البلد، وكانوا يضـعون أصـنامهم في سـاحة كبيرة بداخل البلد، وكانوا يضـعون عندها الطعام ليتباركوا بهذا الطعام، وطلبوا منه أن يأتي معهم، فقال لهم: ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ (89الصـــافات) وسقيم أي مريض من أحوالكم وأفعالكم وعبادتكم للأصنام، فهي ليست بكذب لكنها معاريض.

حضـرة النبي ﷺ خرَّج لنا هذه الأمور، عندما يُدعى إبراهيم يوم القيامة للشـفاعة فيقول حتى يخرج من هذا الأمر ويُسلِّمه لصاحبه: { إِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلاثَ كَذِبَاتٍ }[6]،

وهي ليست كذبات ولكنها معاريض، أي تقول شيئاً وتقصد شيئاً آخر لتنجو بنفسك، وهو غير الكذب، كما فعل النبي ﷺ في الهجرة، وكان معه سـيدنا أبو بكر وقابله نفر من العرب فسـألوا سـيدنا أبو بكر:{ مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكَ؟ فَيَقُولُ: هَذَا الرَّجُلُ يَهْدِينِي السَّـبِيلَ، فَيَحْسِـبُ الْحَاسِـبُ أَنَّهُ إِنَّمَا يَهْدِيهِ الطَّرِيقَ وَإِنَّمَا يَعْنِي سَـبِيلَ الْخَيْرِ }[7]، و { كقول نبينا ﷺ لمن قال له في طريق الهجرة: ممن الرجل؟ من ماء حيث أراد ﷺ ذكر مبدأ خلقه ففهم الســائل أنه بيان قبيلته .. حيث أراد شيئاً وفهم السائل آخر ولا يعد ذلك كذباً في الحقيقة }[8]

هذه تُسمى معاريض، وليس فيها كذب يؤذي، لكن فيها منجاة، وهي غير التقية التي يتخذها الشـيعة – هداهم الله – لأنها لا توافق شـرع الله، ولا سُـنَة حبيب الله ومصـطفاه، فلا بد من مراعاة هذه الأمور.

فيقولون التقية أن نكذب في حالة الضـعف حتى نتمكن، وهذا ليس المنهج الإسـلامي، ولكن المعاريض شـيء ليس فيه كذب، ولكن فيه صـدق، لأن الكلمة لها معنيان، فأنا أقصـد معنى، وهو يفهم معنى آخر.

معظم المشاكل التي تحدث بين الناس سببها سوء الظن، أي أنني أقول لك كلاماً أنوي به أمراً، وأنت تفهم به أمراً آخر غير الذي أريده وأقصـده في هذا الكلام، لكن لو فهمت مرادي في الكلام فلن نختلف ...، وهذا الذي يسبب سوء الظن بين الناس.

---

6 البخاري والترمذي عن أبي هريرة ﷺ
7 دلائل النبوة للبيهقي عن أنس ﷺ
8 تفسير الألوسى

أول أمر بالنسبة لسيدنا إبراهيم قوله: ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ (الصافات) سقيم من أحوالهم، والأمر الثاني عندما تركهم يذهبون وأمسك بالفأس وكسَّر الأصنام، وترك الصنم الأكبر وكان للملك ومصنوع من الذهب، وعيناه من الزبرجد، وعلَّق في رقبته الفأس، وتركهم، وبعدما رجعوا قالوا: من فعل هذا بآلهتنا؟ لا يوجد غير إبراهيم الذي يعترض عليها ويريدنا أن لا ندعوها، فقالوا: ﴿ فَأْتُوا بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ (61الأنبياء) وهذا ما كان يريده، ليقيم عليهم الحجة في وقت واحد، أمام الكل يريد أن يُظهر الحجة والبرهان على الجميع في بيان عملي، وهذا سر تكسيره للأصنام، وبعد أن تجمعوا قال لهم: لَمِ تعبدون ما لا يسمع ولا يُبصر؟! فوافقوه، لكنهم رجعوا مرة أخرى: ﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ (الأنبياء) وأشار بإصبعه إلى الصنم الأكبر، ويقصد أن الذي فعله هذه اليد التي فيه، وهم ظنوا أنه الشيء المشار إليه وهو الصنم الأكبر، فهل هذه كذبة؟ لا، ولكنها معاريض، وهي التي قال فيها ﷺ:

{ إِنَّ فِي الْمَعَارِيضِ لَمَنْدُوحَةً عَنِ الْكَذِبِ } [9]

المعاريض يتخذها الإنسان في الضرورات، حتى لا يلجأ للكذب، لأن هؤلاء أنبياء الله ورسل الله، وهم صادقون على الدوام، ولا يُكتب عليهم كذبة واحدة طوال حياتهم، لأن الله ﷻ يعصمهم بعصمته، ويحفظهم بحفظه وصيانته تبارك وتعالى.

بعد ذلك أخذوه على الملك ليقيم الحجة على الملك، والكل يعرف المناظرة التي دارت بينه وبين الملك، وكان الملك النمروذ من المعمرين، عاش أربعمائة سنة ملك، وكان له السلطان والقهر، وحصلت الحجة التي يُلهم الله ﷻ بها أحبابه، المؤمنون لا يجادلون، لكن إذا وقعوا في نقاش فإن الله ﷻ يُسعفهم بألطافه الخفية بما يجعلهم يظفرون في هذا النقاش: ﴿ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ﴾ (258البقرة) وأمر بإحضار إثنين محكوم عليهما بالإعدام، ثم قال: اقتلوا هذا، وأنا عفوت عن هذا!! وهذا خارج عن نطاق المناظرة، لأن المناظرة في هذا الموضوع تتكلم عن الحياة من العدم، وهو أخذها من منطق آخر غير الذي يتحدث عنه إبراهيم، فخرجت المناظرة عن أصولها، ومع ذلك جاء له بالحجة القاطعة: ﴿ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ﴾ (258البقرة).

---

9 سنن البيهقي ومسند الشهاب عن عمران بن حصين ﵁

فاشتد غيظه، وطلب منه الخروج من هذه البلد، وأعلن الحرب عليه بجيوشه، فقال له: سأخرج أنا وزوجتي وابن أخي لوط، وهم الذين آمنوا به، ولكنه أصر على أن جيشه يحاربه، وتأتي هنا عناية الله، فأرسل الله عليه وعلى جيشه جيشاً من البعوض، مصُّوا دماء جنوده وتركوهم موتى، ودخلت بعوضة في أنف الملك ووصلت إلى مخه، ولم يستطيع إخراجها، ولا إماتتها، وكان يشتكي مر الشكوى منها، ولا يجد علاجاً إلا إذا ضربوه بالنعال على رأسه حتى يسكن ألمه، وظل على هذا الحال فترة طويلة حتى أخذه الله أخذ عزيز مقتدر.

محاجته لعبدة النجوم والكواكب

وذهب سيدنا إبراهيم إلى فلسطين، وكانت منطقة فلسطين منطقة بدائية بها بعض القرى، وموضع بيت المقدس لم يكن قد بُني فيه شيء بعد، ووجد أهلها يعبدون الكواكب، وهم الكنعانيون، فأخذ يحاججهم بالحجة، ماذا تعبدون؟ النجوم، وبعد أن غابت قال لهم: ﴿ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ (76الأنعام) لو كان إله لا يغيب، فقالوا نعبد القمر، فلما غاب قال: ﴿ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾ (77الأنعام) قالوا: نعبد الشمس في النهار: ﴿ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ (78الأنعام).

قارعهم الحجة بالحجة ليُعلمهم أن الله ﷻ هو الذي كوكب الكواكب، وهو الذي أضاء القمر، وهو الذي سخر الشمس، وهو الذي خلق الكائنات كلها، وبيده أمر تدبيرها، والله ﷻ تراه القلوب بحقائق الإيمان، ولا تراه العيون بالنظر والاستدلال والبرهان، وهذا هو الذي جاء به أنبياء الله لهداية الخلق إلى الله جل في علاه.

وظل يدعوهم إلى عبادة الله ﷻ، وهنا التربية الروحانية، فأرسل ابن أخيه لوط الذي تربى على يديه إلى مدينة سدوم على البحر الميت ليدعوهم إلى عبادة الله، وطاعة الله ﷻ، حتى نعاون بعض في طاعة الله.

إذاً كل مَن في حجى الصالح أو العارف أو النبي لا بد أن يعاونونه على تبليغ رسالة الله، وعلى نشر دعوة الله جل في علاه طلباً لمرضاة الله ﷻ.

وهو في فلسطين حصلت مجاعة، وعلى مدى التاريخ كان أهل الشام دائماً كلما تحصل لديهم مجاعة يلجأون إلى مصر، إن كان في عصر الخليل، أو في عصر يوسف الصديق، أو في عصر الفاروق عمر في عام الرمادة، أو في أي عصر من العصور، فكانوا يلجأون دائماً إلى مصر.

فجاء إلى مصر، حتى يتحقق الأمر الثالث:

وكان الملك يأخذ النساء الجميلات من أزواجهن، وكانت السيدة سارة زوجته وابنة عمه أجمل نساء الأرض بعد حواء، فقال لها كما أخبر النبي ﷺ:

{ إِنَّ هَذَا الْجَبَّارَ إِنْ يَعْلَمْ أَنَّكِ امْرَأَتِي، يَغْلِبْنِي عَلَيْكِ، فَإِنْ سَأَلَكِ، فَأَخْبِرِيهِ أَنَّكِ أُخْتِي، فَإِنَّكِ أُخْتِي فِي الإِسْلامِ، فَإِنِّي لا أَعْلَمُ فِي الأَرْضِ مُسْلِمًا غَيْرِي وَغَيْرَكِ }[10]

---

10 صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ

هل كذب هنا؟ لا!!

لكنها معاريض كما أخبر النبي ﷺ.

والسـيدة سـارة كانت صِـدِّيقة من الأتقياء، فأخذت تدعو الله ﷻ أن يمنع عنها هذا الجبار، وأن يحفظها، وأن يطمئن إبراهيم عليها لأنها علمت أنه شديد الغيرة عليها.

قال ﷺ يروي هذه القصة:

{ فَلَمَّا دَخَلَ أَرْضَـهُ، رَآهَا بَعْضُ أَهْلِ الْجَبَّارِ فأَتَاهُ، وقَالَ لَهُ: لَقَدْ قَدِمَ أَرْضَـكَ امْرَأَةٌ، لا يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَكُونَ إلا لَكَ، فَأَرْسَـلَ إِلَيْهَا، فَأُتِيَ بِهَا، فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ .إِلَى الصَّـلاةِ، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ، لَمْ يَتَمَالَكْ أَنْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهَا، فَقُبِضَتْ يَدُهُ قَبْضَةً شَدِيدَةً، فَقَالَ لَهَا: ادْعِي اللَّهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي، وَلا أَضُرُّكِ، فَفَعَلَتْ، فَعَادَ، فَقُبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبْضَةِ الأُولَى، فَقَالَ لَهَا مِثْلَ ذَلِكَ، فَفَعَلَتْ، فَعَادَ، فَقُبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبْضَتَيْنِ الأُولَيَيْنِ، فَقَالَ: ادْعِي اللَّهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي، فَلَكِ اللَّهَ أَنْ لا أَضُـرَّكِ، فَفَعَلَتْ، وَأُطْلِقَتْ يَدُهُ، وَدَعَا الَّذِي جَاءَ بِهَا، فَقَالَ لَهُ: إِنَّكَ إِنَّمَا أَتَيْتَنِي بِشَيْطَانٍ، وَلَمْ تَأْتِنِي بِإِنْسَانٍ، فَأَخْرِجْهَا مِنْ أَرْضِي، وَأَعْطِهَا هَاجَرَ }[11]

فتركها وأمرهم أن يُعطوها هاجر، ومن الأموال كذا وكذا وكذا، من كل خيرات الله من الإبل والبقر والغنم وغيرها، فرجعت إلى إبراهيم وهي تخشـى من غيرته، فقالت: ياإبراهيم لم يصـل إليَّ، فقال: اطمئني فإني دعوت الله ﷻ أن يكشـف لي عن شـأنك فما غبت عن ناظريَّ منذ ذهبت إلى أن عدت!!

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾

(75الأنعام).

11 صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ

رجع إبراهيم بأهله إلى فلسـطين، ومعه هذه الأموال، ومعها بركة الله، فنمت حتى صـارت لا عد ولا حد لها وهنا ظهرت خلته: { هبط مَلَكٌ فِي صورة رَجُلٍ, وذكر اسْمَ اللَّه بِصَوتٍ رَخيمٍ شَـجِيٍّ, فقال إِبْرَاهِيم - .-: اذكره مَرَّة أَخرى, فقال: لا أذْكُرُه مَجَّاناً, فقال: لكَ مَالِي كُلُّه, فذكره المَلَكُ بِصوتٍ أَشْجَى من الأوَّل, فقال: اذكره مرَّة ثَالِثَة ولك أوْلَادِي, فقال المَلَك: أَبْشِـر, فإِنِّي ملكٌ لا أَحْتَاج إلى مَالِكَ وَوَلَدِكَ, وإِنَّما كان المَقْصُـود امتِحَانُك؛ فلما بَذَل المَال والوَلَد على سَمَاع ذكر اللـه تعالى لا جرم اتَّخذه اللَّه خَلِيلاً }[12]؛ فعلمت الملائكة أن كل هذه الأموال لم تشـغله عن الله طرفة عين ولا أقل، جعل سـره لمولاه وقلبه ذاكر لله ولم يشـغله عن ذكر الله ولا محبته طرفة عين كل ما عُرض عليه من زخارف الدنيا ومطارف هذه الحياة.

12 عن شَهْر بن حَوْشَب فى تفسير اللباب في علوم الكتاب

وهذا لمن يريد أن يكون داعياً صادقاً يستجيبون له:

- يستجيب أولاً بباطنه لله.
- ويُخلي قلبه مما سواه.
- ولا يتعلق قلبه بغير مولاه.

وعنها ... إذا نطق أو تكلم أو تحدث لا بد أن يؤثر في كل من حوله بإذن الله جل في علاه، وهذا طريق الدعاة الصالحين، وهذا هو المنهج.

أولاً تطهير القلب، وتخليته، واملأه بحب الله، وزد على ذلك بالمداومة على ذكر الله بالقلب، إن شاء الله تجد كل شيء بأمر الله ميسر لك، وقريب منك، بل إنه هو الذي يدنوا إليك، كما كان يفعل مع أحباب الله ومنهم وإمامهم سيدنا رسول الله ﷺ.

لكن حتى سيدنا رسول الله عندما كان يريد أن يأكل تمراً مثلاً كانوا يقولون: كان التمر يتسابق إلى يده!! لأنها سيكون لها الشرف أن تدخل في جسد الحبيب ﷺ، وكان يمسك الحصى فيُسبح في يده، وكان يقف على الجبل فيهتز الجبل فرحاً إلى أن يقول له: { اثْبُتْ أُحُدُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ }[13]، ولذلك قال: { أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ }[14] ... هل الجبل له قلب حتى يُحب؟! لكنه يحب كما أخبر النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى.

كان سيدنا إبراهيم مما ألهمه به مولاه أن لا يأكل إلا مع ضيف شكراً لله على ما وهبه له: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ ﴾ (النحل).

كيف نحصل على الاجتباء والاصطفاء؟ إذا شكرنا الله على نعمه، فلمَّا وهبه الله الخير الكثير والرزق الوفير كان شكره لله أنه لا يأكل إلا مع ضيف، وإذا لم يجد لا يأكل ويخرج ليبحث عن ضيف يأكل معه، وأرسل الله ﷻ له ذات يوم ثلاثة من الملائكة، فذبح لهم عجلاً سميناً، وشواه لهم: ﴿ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾ (96هود) وحنيذ أى سمين وفي لغة أخرى مشوي (وكانوا يشوون العجل بوضعه في حفرة بالأرض بعد لفه بورق الموز وتغطيته بالفحم، وهذا أفضل الشى طعماً ومذاقاً)، وروي:

13 البخاري والترمذي عن أنس ﷺ
14 البخاري ومسلم عن عبد الرحمن بن سعد ﷺ

{ لما اتخذ الله إبراهيم خليلاً سـأل ملك الموت ربه أن يأذن له فيبشـر إبراهيم بذلك فأذن له, فأتى إبراهيم ولم يكن في الدار فدخل داره وكان إبراهيم من أغير الناس وكان إذا خرج أغلق بابه فلما جاء, وجد في الدار رجلاً فثار إليه ليأخذه قول له. من أذن لك أن تدخل داري فقال: أذن لي رب الدار فقال : إبراهيم صدقت، وعرف أنه ملك فقال له: من أنت قال: أنا ملك الموت جئتك أبشرك أن الله قد اتخذك خليلاً فحمد الله عز وجل } [15]، وبالحلية:

{ أرسلني ربي إلى عبد من عباده أبشره بأن الله قد اتخذه خليلاً، قال: ومن هو؟ فو الله لئن أخبرتني به ثم كان بأقصـــى البلاد لآتينه ثم لا أبرح له خادماً حتى يفرق بيننا الموت }: فلا يرى نفسه، وهكذا يكون السالك الذي يريد الله ﷻ أن ينجيه من المهالك، تغيب النفس، ولو وُجدت النفس فســيكون معها اللبس!، ومعها الغرور!! ومع الغرور الفتور !!، ومعها العُجب!! ومع العُجب ينتهي الحب!!، ومعها المهالك كلها، لكنه كان لا يرى نفسه، { قال: ذاك العبد أنت هو، قال: أنا. قال: نعم أنت }. فأخذ يردد: أنا أنا أنا!! كأنه غير مصـــدق، لأنه لا يرى نفســـه أهلاً لعطاء الله، وإنما يرى نفســـه عبداً من عباد الله تولاه مولاه، ولكنه يرى الأفضلية في غيره، كنظرة الصالحين على الدوام التي تعلموها منه ومن حبيب الله ومصطفاه ﷺ .

ففي الحديث { قال رجل لرسول الله ﷺ: يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ }[16]، تواضع، وقال أيضاً:

{ لا تُفَضِّلُونِي عَلَى أَخِي يُونُسَ } [17]

مع أن الله ﷻ فضَّله، لكنه لا يرى نفسه، وهذا أساس من أسس السلوك إلى الله:

- أن الإنسان لا يرى نفسه.
- يرى عيوب نفسه، وحسنات غيره.
- ويُلقي خلفه حسنات نفسه وعيوب غيره.

---

15 تفسير لباب التأويل في معالم التنزيل عن سعيد بن جبير
16 صحيح مسلم وسنن أبي داود عن أنس ﷺ
17 بحر الفوائد للكلاباذي عن أبي هريرة ﷺ

مَن تراه يتحدث عن عيوب غيره اعلم أنه ســاقط من عين الله، ولذلك يتحســس على فلان وفلان، وهذا عيبه كذا، وهذا عيبه كذا، وليس أمامه غير العيوب، ولا ينظر إلى نفســه، مع أن النبي ﷺ قال:

{ طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ } [18]

- **انظر إلى محاسن غيرك، وإلى عيوب نفسك.**
- **ودع محاسن نفسك وعيوب غيرك خلف ظهرك.**

وهذا هو منهج الصــالحين الذي وضــحه الله في قرآنه، وبيَّنه النبي ﷺ في خصــاله وفعاله، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ (10فاطر) يرفعه من أمام عينيه، لأنه لو جعله أمام عينيه ســينغر وينضر، لكن يرفعه لله وينساه، لكن أمام عينيه عيوبه.

18 مسند البزار والشهاب عن أنس ﷺ

أدب الخليل مع مولاه

وانظر إلى أدب الخليل في الدعاء، أدب عظيم يحتاج إلى مدارسة:

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾ (الشعراء)

لم ينسب المرض لذات الله تأدباً مع مولاه، فنزَّه الله أن ينسب إليه صفة نقص وهي المرض، نسب إليه صفات الكمال، ونسب لنفسه صفة النقص، لأن المرض صفة نقص، مع أن المرض من الله:

﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَ ﴾

(79النساء).

هذا منهج الأنبياء، ومنهج سيد الأنبياء، ومنهج الصالحين إلى يوم العرض والجزاء، إذا وُفق يرى توفيق الموفق، وإذا أخفق ينسب ذلك إلى عجزه، وإلى جهله، وإلى قصوره، وإلى تقصيره، وإلى كذا وكذا من العيوب التي لا يخلو المرء منها إلا مَن حفظه وصانه حضرة علام الغيوب ﷻ.

ولذلك قال الله ﷻ فيه: ﴿ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ (37النجم) فقال له المَلَك: تدري لِم اتخذك الله ﷻ خليلاً؟ قال: لا، قال: لأنك لا تُعطي إلا لله، لا تنتظر شيئاً من الخلق، وهذا حال الكُمَّل: ﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (109الشعراء) !!!

فليس هناك شيء مع الخلق.

المنح الإلهية للخليل إبراهيم

قصة سيدنا إبراهيم تتضح معالمها للسالكين الصادقين، والعارفين والمُحققين، في المنح الإلهية القرآنية التي بيَّنها الله ﷻ لنا في قرآنه الكريم، آية تعد بعض منح الله ﷻ، اسمعوها وعوها فى سورة النحل:

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ ﴾

سبع منح، هذا غير:

﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ (125النساء) هذه منحة

﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ (27النجم) هذه منحة أخرى

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ (41مريم)

وتلك منحة أخرى.

كل هذا غير الإمامة العظمى التي شرَّفه الله ﷻ بها، وشرَّفها به، وجعلها شرفاً في عقبه إلى يوم الدين.

كل هذه الأشياء موضع عين القلب للسالكين الصادقين، والعارفين المحققين، ونحن أخذنا القصة الظاهرة التي يرويها الناس في كل وقت وحين، لكن المحققين عينهم على هذه المقامات وهذه الكمالات، يريدون أن يصلوا إليها، ويريدون أن يلحقوا ولو ببعضها، ويريدون أن يكونوا من الموقنين الذين ذكر الله أن منهم إبراهيم: ﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ (75الأنعام).

كيف تأتي هذه الأشياء؟ هذه الأشياء تأتي كما وضحنا، أول شيء مقام الفُتُوَّة، سيدي أبو العباس المرسي ﷺ قرأ قول الله ﷻ: ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾ (60الأنبياء) قال: إنما سُمي إبراهيم فتى لأنه كسَّر الأصنام، ولا يرقى عبد إلى مقام الفُتُوة إلا إذا كسَّر أصنامه المعنوية.

هذه أصنام حسية حجرية أو خشبية، لكننا كلنا فينا أصنام معنوية، وهي كل ما ننشغل به شغلاً كاملاً عن رب البرية ﷻ، فهناك من يكون صنمه الجاه، وهم كثير في زماننا، وهناك من يكون صنمه المال، يميل به عن سلوك الطريق القويم ومنهج الرجال، يبحث عن الحيل والتلاعب والمكائد ليُحصِّل المال، ولا يبالي من حلال أم من حرام.

وهناك من يكون صنمه العلم، يرجع كل شيء للعلم، ويريد من الناس أن تقدسه وتعظمه وتمجده بسبب ما يظنه عند نفسه من العلم، مع أن العلم الذي عنده ربما يكون الخطأ فيه أكثر من الصواب، لأن القاعدة الصوفية (مَن كان علمه من الكتاب فالخطأ عنده أكثر من الصواب، ومَن كان علمه من الوهاب فهذا هو الذي فقه جميل الخطاب) لأن الكُتب فيها حجج مختلفة، تشتت الناس، ومع ذلك يقول الله ﷻ: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ (76يوسف) لا يوجد أحد في البشر سيصل في العلم إلى علم الذي فقَّهه الله ﷻ وهو سيدنا سليمان: ﴿ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (16النمل) هذه واحدة، وهناك: ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾ (79الأنبياء) ومع ذلك يأتي هدهد فيقول له: ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ (22النمل).

فلا بد للإنسان حتى يبلغ المرام أن يُكسِّر الأصنام المعنوية، ويوحد في القصد ذات الله الإلهية، فلا يعمل عملاً إلا ويقصد به وجه الله، ولا يقول قولاً إلا ويعلم أنه يطلب به رضاه، ويتأكد أن الذي يستمع إلى هذا القول أولاً هو حضرة الله، فينتقي أقواله، ويُمحص أفعاله، لأنه يعلم أن الله منه على بال.

إذا صدق في محبة مولاه، فإن الحب سيملأ كل ذرات حقائقه الظاهرة والباطنة:

تـخـلـلـت مـوضـــع الســـر مـنــي   وبـذا سُـــمِّـي الـخـلـيـل خـلـيـلاً

نحن نقول مخلل لماذا؟ لأنه تخلله الملح من كل اتجاه، كذلك سُمي الخليل خليلاً لأن محبة الله تخللت كل حقائقه الظاهرة والباطنة.

فلا بد أن تتخلل محبة الله ﷻ كل ظاهره وباطنه، ولا بد للداعي إلى الله ﷻ، والذي يدَّعي مقاماً عنده من برهان، لأن الله ﷻ من عظيم كرمه يختبر أهل الإيمان: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ۝٣ ﴾ (العنكبوت).

وعلَّمنا حضرة النبي، وعلَّمنا الخليل إبراهيم أن أول رسالة يُبلغها إلى الخلق تكون لمن يسكن معهم، زوجه وأولاده، وإلا كانت بدايته على غير صواب!!

مَن أول من آمن برسول الله ﷺ من النساء؟ زوجته السيدة خديجة، ومن الصبيان؟ ربيبه الإمام علي، ومن العبيد؟ عبده زيد بن حارثة.

هذه سُنَّة إبراهيم، علَّم الأم، وعلَّم الطفل الصغير، ولذلك عندما أخذهما إلى البيت وترك لهما جراب فيه قليل من التمر، وسقاء به بعض الماء، والمكان قفر لا ماء ولا إنس ولا حتى وحش، وتركهما، فقالت الزوجة: لمن تتركنا هاهنا يا إبراهيم؟ فلم يجبها، وكررت العبارة ثلاث مرات، فلما لم يجبها قالت: أألله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذاً لا يُضيعنا، هذه هي التربية النبوية للزوجة، فما دام أمر الله فلن يضيعنا.

وسيدنا إبراهيم كيف وصل بهما إلى هناك؟ وكيف كان يزورهما؟ إما راكباً البراق، وإما أن تُطوى له الأرض، فهذه حكمة الله ﷻ.

ونفد الماء والتمر الذي معهما، ولم يبق في ثديها لبن، وصغيرها رضيع، فأخذت تطلع الجبل وتنظر لتجد ماء فلا تجد، فتنظر إلى الغلام فتنزل وتهرول، إلى أن تصل إلى الجبل الثاني، فضرب الغلام الأرض برجله ففاضت المياه، ووجدت رجلاً واقفاً بجواره، فقال لها: يا أَمَةَ الله لا تخشي الضيعة فإن لله ﷻ بيتاً في هذا الموضع – وأشار إلى مكان الكعبة – يبنيه هذا الغلام وأبوه، فاطمأنت.

عندما خرج ماء زمزم شربوا منه، لكن لا يوجد أحد في الأولين ولا الآخرين سأل: ماذا كانوا يأكلون؟ سيدنا إبراهيم عندما تركهما وتوارى خلف الجبل قال:

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ (37إبراهيم) يُعلِّمنا سيدنا إبراهيم الدعاء، لم يقل الناس، ولكن (أفئدة من الناس) أي لهم قلوب.

فالذي يريد الدعاء ينظر إلى دعاء سيدنا إبراهيم ويتعلم منه، كيف يدعوا لأولاده الدعاء الطيب المجاب؟ رزقهم على الله، لكن لم يذكر أحد كيف كان رزقهم؟ وماذا كانوا يأكلون؟ رزقهم على الله.

لكن في الحقيقة كانت ملائكة الله تأتيهم في صورة بشر بأرزاق من عند الله ﷻ في هذا الوقت والحين.

سيدنا إبراهيم في فلسطين لكنه كان يتابع أولاده، ويُعلمنا كيف نتابع أولادنا، عندما كبر إبنه وتزوج ذهب وسأل عنه وهو غير موجود، فسأل زوجته عن معيشتهم وماذا يأكلون، فقالت: معيشتنا شقاء ولا نجد أكلا ولا شرباً، فعرف أنها ناقمة على الله، فقال لها: عندما يعود زوجك أخبريه أن يُغير عتبة بابه، قال لها: أنت العتبة والحقي بأهلك، لأنها زوجة لا تصلح مع الصالحين ولا الأنبياء والمرسلين.

والولد كانت عنده حاسة الشم الإيمانية كسيدنا يعقوب فهي وراثة نبوية: ﴿ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾ (94يوسف) ريح يوسف نفسه وليس قميصه، ويعقوب في بيت المقدس ويوسف في مصر، وكل إنسان له رائحة مخصوصة خلقها له رب العلا ﷻ، وأنبياء الله لهم رائحة خاصة بهم، والصادقين من آل بيت النبي لهم رائحة خاصة بهم.

فلما عاد سيدنا إسماعيل شم رائحة أبيه فقال لها: من جاء هنا؟ قالت: رجل صفته كذا، قال: ماذا قال لك؟ قالت: يقول لك فلتغير عتبة بابك، فطلَّقها، وتزوج بأخرى، فجاء سيدنا إبراهيم ليزوره، يُعلَّمنا كيف نتفقد أولادنا حتى بعد الزواج، سيدنا سليمان كان يتفقد حتى الطير، لأنه مسئول عنه: ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴾ (20النمل).

فلا يجب أن أترك أولادي للنت وغيره ولا أتابعهم، أين الرسالة المكلف بها؟!

{ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ } [19]

فقال لها: كيف حالكم؟ قالت: الحمد لله نأكل اللحم واللبن، فقال: اللهم بارك لهم في اللحم واللبن، وقد قيل: لو قالت شيئاً آخر، لكان دعا لهم به، ولأصبحت أرض مكة الصحراوية أرضاً زراعية جيدة تنبت هذا الزرع، لأن الله وعده بإجابة الدعاء.

19 البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما

ويأتي بعد ذلك قصـــة الفداء: فقد رأى إبراهيم في منامه يوم الثامن من ذي الحجة أنه يذبح إبنه، فتروَّى في أمره، وأخذ يُفكر، ورأى ذلك مرة أخرى في يوم التاســـع، فظن أنها من الشـــيطان، ورآها مرة ثالثة في يوم العيد يوم العاشر من ذي الحجة فتيقن أنها رؤيا حقة، فأحضر إبنه وقال له: ﴿ يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴾ (102الصافات) **يشـاوره حتى في ذبحه، لأن الله يريد أن يُعلِّمنا الشورى في كل أمر، فكثير من الأحباب لا يحب الشورى، يقول بعض الصالحين: لو اســـتشــــار آدم الملائكـة مـا خـرج مـن الجنـة!!** ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ (159آل عمـران) ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ (38الشورى).

سيدنا إبراهيم شاور إبنه، وشرح له بالتفصيل:

﴿ يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴾ **ولأنه متعلم في بيت النبوة** ﴿ قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾ **عرف أن رؤيا الأنبياء وحي، كما قال ﷺ:**

{ إِنَّ رُؤْيَا الأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ } [20]

﴿ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ (102الصافات) **لم يقل صـابراً، سـيدنا موسـى قال:** ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا ﴾ (69الكهف) **ولم يصبر، لكن سيدنا إسماعيل أدخل نفسه في الصابرين ...** ﴿ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ ......

فصـبر .... لذلك يجب على المؤمن أن يُدخل نفســه في وسـط الصـالحين: ﴿ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ (9العنكبوت) **حتى يستطيع أن يصل إلى ما يريد، وأن يحقق الله ﷻ له الطريق السديد.**

فأخذه وذهب به إلى مِنى، وتظاهرا بأنهما ذهبا ليصــــطادا أو ليجمعا الحطب، ومعهما حبل وسكين.

وقال لأبيه: اشـــحذ المدية، وكبني على وجهي حتى لا تنظر إلى وجهي فتجزع عند تنفيذ أمر الله.

فأمر الله ﷻ الأمين جبريل أن يهبط سريعاً وأن يضع يده على رقبته، ولذلك ورد فى الأثر :

{ أن النبي ﷺ قال لجبريل عليه السلام:يا جبريل أنت مع قوتك هل أعييت قط؟ قال: نعم يا محمد ثلاث مرات.

20 صحيح البخاري والترمذي عن ابن عباس ﷺ

الأولى:

يوم ألقي إبراهيم في النار فأوحى اللـــــــه إلي وأنا تحت العرش أدركه فوعزتي وجلالي لئن ســـبقك إلى النار لأمحونَ اســـمك من ديوان الملائكة فنزلت إليه بســـرعة فأدركته بين النار والـــهواء وقد أعييت فقلت: يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا.

الثانية:

حين أمر إبراهيم يذبح ولده أوحى اللـه إلى أن أدركه فوعزتي وجلالي لئن سبقك السكين إلى حلقه لأمحونَّ اسمك من ديوان الملائكة فنزلت بسرعة حتى حولت السكين في يديه بفداء ولده.

الثالثة:

حين رمى يوسف في الجب فأوحى اللـه إلي أن أدركه فوعزتي وجلالي لئن سبقك إلي قعر الجب لأمحون اســـمك من ديوان الملائكة فنزلت بســـرعة فأدركته في الفضـــاء فرفعت لــــه صخرة كانت في قعر الجب فأنزلته عليها سالماً فعييت وكان الجب مأوى الحيات والأفاعي فلما أحسن به قالت كل واحدة لصاحبتها إياك أن تتحركي فإن نبياً كريماً نزل بجوارنا فلم تخرج واحدة من وكرها إلا أفعى فإنها خرجت وقصـــــدت لدغه فصحت بهن صيحة صمتت آذانهنَّ إلى يوم القيامة } [21]

﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا ﴾ باطناً وظاهراً لله!

وهذا إسلام الوجه لله.

﴿ وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (الصافات)

ونزل الكبش الذي قدَّمه هابيل وتقبله الله ﷻ منه، وكان يرعى في الجنة، وظل يرعى حتى أنزله الله ﷻ وفدى به نبي الله إسماعيل عليه وعلى نبينا وعلى أبيه إبراهيم أفضل الصلاة وأتم السلام.

21 القرطاس عن أبى هريرة ﷺ

تكريم الله لإبراهيم

تكريم الله ﷻ لإبراهيم لا يُعد ولا يُحد:

فإن الله ﷻ جعل لإبراهيم الأولية في أشياء كثيرة جداً في الملة الحنيفية والشريعة الإسلامية:

- **فإبراهيم أول من اختتن، وختن أبناءه وذريته.**
- **وإبراهيم أول من قلَّم أظفاره.**
- **وإبراهيم أول من نبت الشيب في رأسه، فقال{** يَا رَبِّ، مَا هَذَا؟ فَقَالَ: وَقَارًا يَا إِبْرَاهِيمُ، قَالَ: رَبِّ، زِدْنِي وَقَارًا **}**[22].
- **وإبراهيم عليه السلام أول من يُكتسى يوم القيامة قال ﷺ: {** إِنَّ أَوَّلَ مَنْ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ **}**[23]

وحتى يتضح المعنى: كلمة أول نأخذها دائماً بعد الحبيب ﷺ، فإبراهيم أول من يُكسى بعد رسول الله ﷺ.

جعل الله ﷻ النبوة في ذريته، مع أنه عندما قال الله ﷻ له:

﴿ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (124البقرة)

لا شأن لنا بالظالمين، وقال الله تعالى: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴾ (113الصافات) **لكن جعل الله ﷻ أنبياء بني اسرائيل كلهم من إبنه إسحاق!**

فإسحاق منه يعقوب، وكلهم منه!

مع أن إبراهيم كان له حوالي خمسة عشر ولد غير إسحاق من زوجات أخريات تزوج بهن في فلسطين ..

لكن النبوة كانت في إسحاق.

وجعل الله ﷻ خيار الأنبياء في الدنيا والآخرة وخاتمهم من ذرية إسماعيل وهو سيدنا محمد ﷺ.

22 شعب الإيمان للبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه
23 البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما

الذبيح إسماعيل

وكثير من المفسـرين ومدَّعي العلم يجعلون الذبيح هو إسـحاق وليس إسماعيل، بالاعتماد على الروايات الإسرائيلية التي نقلوها بغير تمحيص !! مع أن الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمة الله عليه تولى دحض ذلك حتى من التوراة والإنجيل، وقال رحمة الله عليه:

مع أن هؤلاء القوم حرَّفوا إلا أن الله ﷻ حفظ بعض الآيات في التوراة من التحريف والتي فيها تأييد لهذا الدين الذي جاء به سـيد الأولين والآخرين ﷺ، ومن هذه الآيات ما ورد في التوراة: (ذَبَح إبراهيم بكره وحيده) والبكر هو إسماعيل وكان وحيداً، لكنهم تركوا هذه الآية وجاءوا بما ورد عنهم من أقاصيص فيها عجب عجاب، لكنها ليست صحيحة في كتاب الله ﷻ.

وسورة الصافات واضحة وضوح لا لبس فيه: فبشرنه بغلم حليم ﴿١٠١﴾ فلما بلغ معه السعى قال يبنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يأبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصبرين ﴿١٠٢﴾ فلما أسلما وتله للجبين ﴿١٠٣﴾ ونديناه أن يإبراهيم ﴿١٠٤﴾ قد صدقت الرءيا إنا كذلك نجزى المحسنين ﴿١٠٥﴾ إن هذا هو البلؤا المبين ﴿١٠٦﴾ وفدينه بذبح عظيم ﴿١٠٧﴾ وتركنا عليه فى الأخرين ﴿١٠٨﴾ سلم على إبراهيم ﴿١٠٩﴾ كذلك نجزى المحسنين ﴿١١٠﴾ إنه من عبادنا المؤمنين ﴿١١١﴾ وبشرنه بإسحق نبيا من الصلحين ﴿١١٢﴾ ﴾ (الصافات) **بعد قصة الذبيح** بشَّره بإسحاق نبياً من الصالحين، ثم أن الذبح تم في موضع البيت الحرام، وأين إسحاق من موضع البيت لحرام؟!! وإسحاق كان في فلسطين.

قال رجل للنبي ﷺ: { يَا ابْنَ الذَّبِيحَيْنِ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ }[24]. والرسول ﷺ لا يهادن في خطأ، فلو كان هذا غير صــــحيح لقال له: لا تقل ذلك،لكنه ﷺ : إبن الذبيح إسماعيل، وإبن الذبيح عبد الله،عندما أراد أبوه أن يذبحه وافتداه بمائة جمل.

فالذبيح على القول الصــحيح هو سـيدنا إسماعيل لكن هذه الأقوال لانجادل فيها، ولا نُكثر الحديث فيها، عرفنا الحق اليقين، فلا نجادل المشـــككين ولا المتشـــككين، ونحمد الله ﷻ أن أتانا اليقين.

جعل الله ﷻ على يد إبراهيم خليل الرحمن بناء بيت الله الحرام، ووضــــحه له وبيَّنه له: ﴿ وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ﴾ (26الحج) وجعل على يد ذريته بناء بيت المقدس، حيث الذي بناه أول مرة هو سيدنا يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام.

---

24 الحاكم في المستدرك عن معاوية بن أبي سفيان ﷺ

جعل الله له لسـان صـدق في الآخرين: ﴿ واجعل لى لسان صدق فى الآخرين ﴾ (84الشعراء) فلا نُصلي صلاة إلا ونصلي ونُسلم على سيدنا محمد وعلى سيدنا إبراهيم، وعلى آل سيدنا إبراهيم لأنه طلب من الله أن يكون له لسان صدق مع الأمة الصادقة في الآخرين.

وجعل الله ﷻ إبراهيم أول من نسَّـك مناسـك الحج، فلم يكن قبل ذلك حج، كان هناك طواف:

﴿ وأرنا مناسكنا ﴾ (128البقرة) فأراهم المناسك.

وجعل الله ﷻ مناسك الحج تذكرة دائمة للمؤمنين بأفعال إبراهيم وزوجه وإبنه، يطوفوا بالبيت الذي بناه إبراهيم وإسماعيل، ويسعوا في الموضع الذي سعت فيه هاجر زوجة إبراهيم، ويشربوا من النبع الذي أنبعه الله ﷻ لإسماعيل، ويقفوا على الموضـع الذي عرَّف الله ﷻ فيه إبراهيم على عرفات مناسك الحج، قال له جبريل: عرفت، قال: نعم، ويرمون الجمرات في الموضع الذي رمى فيه إبراهيم إبليس عندما أراد أن يصـده عن تنفيذ أمر الله .. فالحج كله تذكرة بخليل الله إبراهيم، وزوجه هاجر، وإبنه إسماعيل عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

مقامات سيدنا إبراهيم في القرآن لا تتناهى، ونحن ذكرناها عداً وشرحها يحتاج إلى وقت طويل.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم



الفصل الثاني:–

التربية الإلهية للمجتبين

مقام الخليل

تعلق القلب بالله

حقيقة الإنسان

التقصير مقام العارفين

سر الخُلّة

إخلاص العمل لله


الصدق
عناية الله
مقام اليقين
علامة أهل الخلة
الخُلُق الكريم

الفصل الثاني

التربية الإلهية للمجتبين [25]

أعطى الله ﷻ الملائكة الكرام درســاً عظيماً في توحيد الواحد الأحد، على يد نبي الله وخليل الله إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضــل الصــلاة وأتم الســلام، وبيَّن لنا في ثنايا هذا الدرس فعل الله مع عباده المقربين، الناهجين على نهج الأنبياء والمرســلين، والذين وصــلوا إلى مقام الصــلاح والتقوى الذي ارتضــاه منهم رب العالمين، جمع له قومه الأخشـــاب، وأخذوا يجمعون فيها –كما تقول الروايات – ســتة أشــهر، حتى تجمع كم كبير من هذه الأخشــاب، ثم أوقدوا فيها النار، وأرادوا أن يُلقوه في النار فلم يســتطيعوا أن يقتربوا منها من شــدة لهبها، فماذا يصــنعوا؟ نزل لهم إبليس اللعين وسـول لهم أن يصـعدوا الجبل الذي بجوار النار، وأرشـدهم إلى طريقة صـنع المنجنيق، وهو خشـبتين ثابتتين، بينهما خشـــبة متحركة، يتدلى منها حبلين، تحتهما شـــيء يجلس عليه، ويُحركون الخشـــبة المتحركة عدة مرات، ثم يقذفونه فيُلقى في النار من بعيد.

ألقوه في النار، وقبل هبوطه ضجت ملائكة السماوات: يا ربنا خليلك وعبدك ونبيك يُلقى في النار، فقال رب العزة: إن كان قد استغاث بكم فأغيثوه – هذا هو الدرس في التوحيد – قالوا: ولا بد، وهنا تعلمنا الملائكة أن المســلم صــحيح القلب ســليم الفؤاد لا ينتظر حتى يطلب منه أخاه في وقت الشدة مساندته، وإنما ينبغي عليه أن يسانده لأنه رآه قريب من الشدة بدون سؤال، إذا انتظر حتى يطلب منه أو يسـأله يكون إيمانه فيه دَخَل، لأن أصـحاب الإيمان السـديد، وأصـحاب الإيمان الرشـــيد وهم الملائكة تحركت قلوبهم بمجرد أن رأوا نبياً لله، ولياً لله، عبداً لله ... ســـتحرقه النار، فضجوا إلى الله، وسألوا الله ﷻ أن ينقذه من هذا المأزق الذي هو فيه.

وهذه صفة الصديقين، فإن من لا يرى معاناة إخوانه وشدائدهم لا يصلح لطريق رب العالمين، لأن الطريق أساسه الذوق السديد، فأقل درجات المقربين أن يستوي مع الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون، وهذا لا بد أن يكون له إحســـاس ظاهر جلي بإخوانه المؤمنين أجمعين.

---

25 المعادي – الخميس 27 من ذي القعدة 1435هـ 3 من أكتوبر 2013م

وكان الصالحون في أوقات الشدائد على مر الزمان بعضهم لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا يقرب النساء، ويظل متوجهاً إلى الله بالدعاء حتى تنكشف الغمة عن المسلمين، وهذا هو الحال الراقي للمسلمين، حصلت مجاعة في مصر، وكان من كبار الصالحين في ذلك الزمان سيدي أبو عبد الله القرشي ﷺ دفين بيت المقدس الآن، وتوجه لزيارة سيدنا إبراهيم الخليل في الخليل – أعاد الله هذه الأرض إلى الإسلام – وكان من أهل الكشف، وكان تلاميذه ستمائة، قال: توجهت إلى الخليل فقابلني أبو الأنبياء، فقال: فقلت: يا سيدي اجعل ضيافتي عندك تفريج الشدة عن أهل مصر، وهذا حال الصالحين في كل زمان ومكان ولا يزال.

سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ يحكي أنه في بدايته حدثت مجاعة في تونس، وشحَّ الدقيق، وأصبح الناس لا يجدون الخبز إلا بمشقة بالغة، قال: فذهبت إلى الخباز وأعطيته ثمن الخبز كله، وأخذته لأوزعه على الفقراء والمساكين، قال: فنوديت في سري: يا مسكين وماذا يصنع خبزك مع أهل البلد أجمعين؟! وهل يكفيهم اليوم أو الغد أو بعد الغد؟! ولكن توجَّه إلى الله ﷻ حتى يُخلصهم من هذه الورطة وينجيهم من هذه الشدة، قال حبيبي ﷺ:

{ مَنْ لَمْ يَهْتَمَّ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ } [26]

قال الله تعالى لملائكته: اختاروا أحدكم ينزل له، فاختاروا الأمين جبريل، فنزل إليه وقال: هل لك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، قال: من الله تعالى؟ قال: علمه بحالي يُغني عن سؤالي.

لأن إبراهيم في مقام أعلى من جبريل، فلا يجوز أن يجعله واسطة بينه وبين ربه ﷻ، وهو أقرب منه لمولاه، وهذا يُعْلِّمنا أن مقام الأنبياء والمرسلين أعلى من مقام الملائكة أجمعين بما فيهم الأمين جبريل، قال الإمام أبوالعزائم ﷺ:

فذاتك النور نالت من لطافتها	ما دونه وقفت ذات الملائكة
جبريل وهو عظيم في مكانته	لم يستطع يلج الأنوار بالهمم
والمصطفى وهو خير خلق الله كلهم	بالجسم والروح فافهم زهرة الحكم

كانت النتيجة أن قال الله لنبي الله ومصطفاه إبراهيم:

﴿ يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ (69الأنبياء) قال بعض الصالحين: لو قال (كوني برداً) فقط لمات من شدة البرد، لكن الله قال (برداً وسلاماً) أى برداً لا يؤذي، فأحرقت النار حباله، ولم تحرق ثيابه، لنعلم علم اليقين أن النار لا تحرق إلا بأمر من رب العالمين ﷻ.

---

26 الطبراني عن حذيفة بن اليمان ﷺ

روي أنه عندما أراد إبراهيم أن يذبح ابنه إسماعيل حدَّ الســـكين، وأخذ يقطع بها رقبته فلا تقطع، فخاطبها وقال: ما لك يا ســـكين لا تقطعي رقبة إسماعيل، فأمرها الله أن تنطق فأجابته وقالت: ولِمَ لم تحرق النار جسدك يا إبراهيم؟!!.

لِمَ جعل الله ﷻ أيام الحج تتكرر كل عام على مدى الأيام إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها؟ ليحصـــل لطلاب هذا المقام الكريم هيام، فيخلعوا كل غير وكل غين وكل بعد وجفا يباعد بينهم وبين الملك العلام، ويمشـــوا موقنين على قدم إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضـــل الصـــلاة وأتم السلام.

ولم ينس الله ﷻ طلاب الآخرة، فجعل طلاب الآخرة يســـعون إلى البيت الذي بناه الخليل، ووفقهم وأعانهم وجعل لهم على ذلك الأجر الجليل يجدونه عند الله ﷻ، منه عاجل في الدنيا في إجابة الدعاء، وتحقيق الرجاء، والبركة في الأموال، ومنه آجل لا يعلم مداه إلا الله جل في علاه، سنراه جميعاً يوم لقاء الله جل في علاه.

مقام الخليل

أما أهل المقام العالي فهم الذين يطلبون مقام الخليل، ولذلك قال الله ﷻ مُلمعاً إلى ذلك في كتابه الجليل: ﴿ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ (97آل عمران) لم يقل الله (مكان إبراهيم) لأن المكان هو الذي وطأه بأقدامه، وهذا الكل يصـــل إليه، لكن المقام الكريم الذي أقامه فيه الكريم، والذي قال فيه في الذكر الحكيم:

﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴾ (125النساء).

مقام إبراهيم غير مكان إبراهيم، فالمقام هو الذي قال فيه الله ﷻ في القرآن: ﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗا ﴾ (97آل عمران) آمناً من الحجاب، وآمناً من البعد عن الله، وآمناً من الأهواء والشـــهوات، وآمناً من الحظوظ والملذات، وآمناً من شر الإنس والجن ... لأنه دخل مقام الأمان الإلهي:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ (82الأنعام) لأنه إيمان خالص لله ﷻ.

مقام ســـيدنا إبراهيم مقام الخلة، وليس أرقى منه إلا مقام المحبة، وهذا خاص بســـيد الأحبة سيدنا رسول الله ﷺ، ولذلك كانت الإشارة في ترتيب المقامات في عروج حضرة النبي ﷺ في سماوات القرب من الله، ليست السماوات الدنيوية أو السماوات الجيولوجية، ولكنها سماوات القرب، لأن السما يعني العلو، فكان أعلاهم مقاماً سيدنا إبراهيم لأنه كان في السماء السابعة مسنداً ظهره إلى البيت المعمور.

مَن الذي تجاوز كل هذه المقامات ؟؟؟ ولم يلتفت إلى هذه الدرجات؟؟؟؟

سيدنا رسول الله ﷺ هو وحده رفيع المقام!

وهو وحده الذي أفرده الله ﷻ بالتقدمة على جميع الأنبياء والمرســـلين، والإمامة لكل إمام، لكن لا يســـتطيع أحد بلوغ هذا المقام إلا إذا ســـلك أولاً في مقام الخلة، وهذا ســـر البداية لأهل العناية.

فكرر الله لنا هذه الأيام في كل عام لنستحضر، البعض يستحضر قصة إبراهيم تارة مع قومه، وتارة في بناء البيت، وتارة في ذبح الأضحية مع إبنه إسماعيل، وتارة مع ملك مصر عندما دخل هو وزوجته .

وكل هذه القصص قال فيها الله: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (111يوسف).

لكن أهل الخصوصية، وذوي الأفضلية، والأرواح التقية النقية التي تسمو دائماً وأبداً إلى المقامات العلية، وتتطلع في كل أنفاسها إلى القرب من رب البرية، ويريدون دائماً وأبداً أن يجلسوا على مائدة خير البرية الشهية، ولا يشبعون من طعام هذه الحقائق، ولا من شراب هذه الرقائق، هؤلاء يهتمون بسيره وسلوكه مع الله ﷺ، حتى يقتفوا أثره: ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ (78الحج).

ومن هنا وضع الأئمة المرشدون، والقادة الروحانيون سُلَّم التدرج للمريدين، لمن أراد أن يصل إلى مقام الخُلَّة، ويدخل في قول رب العالمين: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ (75الأنعام) **من فصل الموقنين، وهو فصل الأوائل عند رب العالمين ﷺ.**

تعلق القلب بالله

بداية البدايات هي تعلق القلب بالكلية برب البرية – وافهموا قولي – لا أقول تعلق الجسم، لأن الجسم يسعى فيما كلَّفه به الله ﷻ، ولا بد له من ذلك، ولا يتم له الأمر إلا إذا كان على ذلك، لا بد أن يكون الجسم قائماً بالتكاليف الإلهية الشرعية التي كلَّفه بها الله ﷻ نحو أولاده، ونحو زوجه، ونحو والديه، ونحو جيرانه، ونحو ذوي أرحامه، ونحو كل من وصلهم الله ﷻ به عن طريق الصلات القرآنية، والوصايا المحمدية، لا بد للجسم من ذلك.

لأن هناك في هذا المقام بعض من يتعلل بعلل نفسية، وليست علل حقيقية، فيقول: لا أستطيع أن أمشي في هذه المقامات، ولا أرتفع في هذه الدرجات إلا إذا تركت الدنيا بالكلية، وإذا تركت الدنيا فمن يُطعم أولادي؟ ومن يسعى على رزقي؟ ومن يقوم بواجبات زوجي؟ وهذه علل نفسية، لأنك مكلف من الله ﷻ برعاية هؤلاء، ورعاية ذاتك في قول الحبيب ﷺ:

{ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُم مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ }[27]

لم يطلب الله ﷻ منك أن تجلس بجسمك تنظر دائماً إلى السماء ترقب فضل الله، لأن فضل الله في السماوات والأرض، والله ﷻ كما أنه ليس في الأرض فهو ﷻ ليس في السماء، ولا يخلو منه زمان ولا مكان، ولا يحتاج إلى شغل بالجسم، لأن الجسم فان، وإنما يريد الباقي فيك، لأنه هو الذي يتعرف على وجه ربك: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ (27الرحمن).

يريد الحقيقة الراقية الباقية فيك، وهي التي تستطيع أن تتعرف على الباقي ﷻ، الروح والقلب والفؤاد، لكن الجسم لا يستطيع أن يتعرف على حضرة الرحمن، الجسم لا يتعرف إلا على محسوس وملموس، والله ﷻ تعرفه حقائق القلوب بحقائق الإيمان كما قال الإمام علي ﷺ وكرَّم الله وجهه.

فيقوم الإنسان بما كلَّفه الله به خير قيام، لأننا المثل الأعلى للأنام في كل عمل، وهكذا علَّمنا الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، فخير من يقوم بأى عمل يُسند إليه نحن، وخير من يقوم بحقوق الزوجة والأولاد نحن، وخير من يصل الأرحام نحن، لأن هذا تكليف كلَّفنا به شرع الله.

27 الصحيحين البخاري ومسلم وسنن الترمذي عن عبد الله بن عمر ﷺ

لكن هذا جانب والله ﷻ لا يريد منا إلا القلب، الذي سُمِّي قلباً لأنه يتقلب، فيريد الله ﷻ منك ألا تُقلبه في الدنيا ولا في الأموال ولا في العيال، وإنما تجعل نظره دائماً إلى الواحد المتعال ﷻ، وهذا بداية المقام، يقول في ذلك رجل من الصالحين:

قد كان لي قبل أهواء مفرقة فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائي

تركت للناس دنياهم ودينهم شغلاً بذاتك يا ديني ودنيائي

يقصد بالعين عين القلب، لأن عين الرأس لا ترى الغيوب، ولا نور علام الغيوب ﷻ، فالقلب لله، والله ﷻ لا يرضى أن تُدخل فيه سواه، لأن هذا هو الموضع النوراني الذي تتنزل فيه أنوار الله، وألطاف الله، وأسرار الله، وحِكَم الله، وعلوم الله، وكل شيء نوراني من الله يتنزل في قلب العبد التقي الذي وجَّه قلبه إلى مولاه جل في علاه.

فبداية الطريق إلى الله، وبداية السالكين، وبداية الواصلين، وبداية المقربين، وبداية المحققين أن الإنسان يوجِّه القلب بالكلية لمقلبه ﷻ، وذلك لا يتنافى مع القيام بواجبات الجسم كما قلنا.

الشيخ الجنيد يصف حاله في هذا المقام فيقول: (بقي لي ثلاثون عاماً أخاطب الحق في الخلق والخلق يظنون أني أتحدث معهم) هذه نظرة شهودية تحتاج إلى رُقي في المقام.

مَن الـذي علَّمنا ذلـك؟ الخليـل إبراهيم الطَّيْكِلاً: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾ (الشـعراء) الله ﷻ هو الذي يُطعمني لأن هو الذي خلق النعمة، وهو الذي جاءني بالنعمة، وهو الذي حرك اليد لترفع النعمة، وهو الذي حرك الأضـراس والأسـنان واللعاب وغيره لتهضـم النعمة، وهو الذي يحرك الجهاز الهضـمي ليتم هضـم الطعام، هل هناك أحد يملك إشارة لتشغيل أو إيقاف الجهاز الهضمي؟! لا يوجد! ثم نسـب المرض لنفسـه فقال: ﴿ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴾ لا ينسـب العيب إلى الله، لأن المرض عيب، فينسـبه لنفسـه، لكن ينسـب لله كل كمال، ويُنزه الله ﷻ عن كل عيب: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ ﴾ (79النساء).

التقصير مقام العارفين

ولذلك تجد الصـالحين الصـادقين، والعارفين الأكابر، ومن على شـاكلتهم دائماً وأبداً يهضـم نفسه، فلا تجد أحد منهم يُدِل بنفسه، أو يزهو بنفسه، أو يفتخر بنفسه، إذا رأيت من يزهو بنفسه، أو يُدل بنفسه، أو يفتخر بنفسـه فاعلم أن بينه وبين مقام المعرفة بون بعيد، وقد قال في ذلك إمامنا أبو العزائم ﷺ وأرضـــاه: (لا تُطلق لســـان العبارة بأســـرار مزيتك لأن ذلك يكون نقص في مقام عبوديتك).

عندما تجلس لأحد وتقول أنا كذا! وأنا رأيت كذا، وأنا قرأت كذا! أنت مَن؟! أتنســـى مفيض الفضـــل والجود والعطا، أنت بتوفيق الموفق، وبإعانة المعين، وبقوة القوى، إذا تخلى عنك طرفة عين ماذا تصـنع؟ أو ماذا تسـتطيع أن تفعل؟!.فتجد العارفين دائماً وأبداً على هذه الشـاكلة، تجد مثلاً الإمام البوصيري ﷺ ينظم قصيدته البردة ويقولها في حضرة رسول الله مناماً، فيخلع عليه رسول الله ﷺ بردته – أى عباءته – ويمســح عليه، وكان في هذا الوقت مشــلولاً، فيقوم من النوم صــحيحاً معافى! ومع ذلك يقول في ختامها، وانظر إلى العارفين:

أمرتك الخير لكن ما ائتمرت به   وما اســتقمت فما قولي لك اســتقم

يتهم نفسـه بالتقصـير، وقد قالوا: (مقام العبد إذا كان من أهل اليقين التقصـير) أن يرى نفسـه دائماً مُقصـراً، وهل يبلغ أحد في الدنيا مهما كان قدره مقام الكمال؟! لا، إذاً الكل مُقصـر دوماً في حق من يقول للشيء كن فيكون ﷻ.

ورجل عارف آخر ذهب إليه قوم يطلبون نصحه وإرشاده، فواجههم بقوله:

أغـيـر تـقـي يـأمـر الـنـاس بـالـتـقـى   طـبـيـب يـداوي والـطـبـيـب سـقـيـم

وتصفح سِيَر الصالحين، وأحوال العارفين المتمكنين تجدهم كلهم على هذه الشاكلة، ومن ليس على هذه الشاكلة فهو مُلبَّس عليه، أو مبتدئ وضحكت عليه نفسه أو الشيطان فظن أنه منتهي، وهو ما زال في بدايات الطريق، فعمي عن طريق أهل التحقيق، وهؤلاء كثير، وذلك من الغرور الذي تزينه له نفسه.

فعلَّمنا سيدنا إبراهيم أولاً أن يمتلئ القلب شغفاً وحباً بالكلية لحضرة الله، حتى يكون أعز ما يتمناه هو قربه من الله ﷻ ورضاه، أو سماع ذكره، أو شهود أنواره، أو التلذذ بكلامه على لسان أى رجل من خلق الله ﷻ.

سر الخُلَّة

لِمَ سُمِّى سيدنا إبراهيم بالخليل؟ ورد في الصحيحين أن سيدنا إبراهيم كان يسعى لجلب ضيف ليأكل معه، وكان لا يأكل إلا مع ضيف، ولذلك يُسمي أبو الضيفان، قال النبي ﷺ: { إِنَّ الْكَرِيمَ ابْنَ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ }[28]، وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا خير البرية، فقال له النبي ﷺ: { ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ .}[29]، وروى:

{ كان إبراهيم .يضيف الناس، فخرج يوماً يلتمس أنساناً يضيفه فلم يجد أحداً يضيفه، فرجع إلى داره فوجد فيها رجلاً قائماً، فقال: ياعبد اللـه ما أدخلك داري بغير إذني ؟ قال: دخلتها بإذن ربها، قال: ومن أنت ؟ قال: أنا ملك الموت أرسلني ربي إلى عبد من عباده، أبشره بأن اللـه قد اتخذه خليلاً، قال: من هو ؟ فواللـه إن أخبرتني به، ثم كان بأقصى البلاد لآتينه، ثم لا أبرح لـه جاراً (وروى خادماً) حتى يفرق بيننا الموت، قال: ذلك العبد أنت. قال: أنا!؟ (وكأنه يعجب، لأنه لا يرى لنفسه مع ربه حالاً ولا فعالاً ولا مقالاً ولا مقاماً لا يرى لنفسه مع الله ﷻ شيئاً قط) **قال: نعم، قال فيم اتخذني ربي خليلاً؟ قال: إنك تعطي الناس ولا تسألهم }** [30]

وقال ﷺ: **{ إِنَّ اللَّهَ ﷻ بَعَثَ جِبْرِيلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ لَهُ: يَا إِبْرَاهِيمُ إِنِي لَمْ أَتَّخِذْكَ خَلِيلاً، إِنَّكَ أَعْبَدُ عِبَادِي، وَلَٰكِنْ اطَّلَعْتُ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ فَلَمْ أَجِدْ قَلْباً أَسْخَىٰ مِنْ قَلْبِكَ }** [31].

---

28 سنن الترمذي والحاكم في المستدرك عن أبي هريرة ﵁

29 صحيح مسلم وسنن الترمذي عن أنس ﵁

30 رواه ابن أبى حاتم، تفسير ابن كثير، حلية الأولياء، عمدة القارىء

31 أبو الشيخ في الثواب عن عمر ﵁، جامع المسانيد والمراسيل

هذه البداية، لأن الدليل على حب الله أن يكون العمل كله لله، حتى طعامي، وحتى شـــرابي، وحتى نومي، وحتى لهوي مع أولادي، وحتى نكاحي لزوجي ... أى عمل تكون نيته لله:

{ إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ } [32]

ليس الشـــأن هنا شـــأن عبادات لأن حياة هذا الرجل كلها أكمل العبادات، لأن صـــاحب العبادات المحدودة المعدودة يريد أن يتعبد في مسجد، أو يريد أن يتعبد في تكرار ختمات القرآن، أو يريد أن يذكر الله على مســـبحة ويعد ... كل هذه عبادات محدودة ومعدودة، لكن صـــاحب هذا الشـأن حاله كله عبادة لله ﷻ: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ (الأنعام) حتى الممات!!، وهذا شـــيء غريب لو كُشف عن سره لطارت الأرواح من الأشباح! ولكن ذلك لأهل الخصوصية.

إذاً من أراد أن يبلغ هذا المقام العظيم، وهو مقام الخلة، أو يكون له شميم من هذه المقامات، ونصـيب من هذه الدرجات العاليات لا بد أن يعقد العزم أن تكون أعماله وأقواله وأحواله كلها لله، وما دامت لله لا بد أن توزن بشـــرع الله، فمن يدَّعي أن هذا العمل لله وهو مخالف لشـــرع الله فهو مدَّعٍ كذاب، لا بد أن تكون أعماله مطابقة لشـريعة الله على الدوام، فينوي أن يكون كل عمله لله، فتكون حياته كلها لله ﷻ، قال ﷺ:

{ مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ، فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ } [33]

وفي رواية أخرى:

{ أَحِبَّ فِي اللَّهِ، وَأَبْغِضْ فِي اللَّهِ، وَوَالِ فِي اللَّهِ، وَعَادِ فِي اللَّهِ، فَإِنَّكَ لا تَنَالُ وِلايَةَ اللَّهِ إلا بِذَلِكَ } [34]

من الذي يستطيع هذا الجهاد؟ الذي ينوي إذا وجد المعين ﷻ صدقاً وإخلاصاً في قلبه يُعينه حتى يُبلِّغه المراد، لأن كل تفصيل حياة سيدنا إبراهيم في هذه الكيفية، بلَّغه الله كل مراد لأنه صدق في توجهه لرب العباد ﷻ، ولذا قيل فى تفسير قوله تعالى {وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى}(37النجم) :

32 صحيح البخاري وسنن أبي داود عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
33 سنن أبي داود والطبراني عن أبي إمامة رضي الله عنه
34 المعجم الكبير للطبراني وحلية الأولياء لأبي نعيم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

{ سَــمِعْت بَعْضَ الْعُلَمَاءِ يَقُولُ: وَإِبْرَاهِيمُ الَّذِي وَفَّى بِمَالِهِ لِلضِّــيفَانِ، وَبِبَدَنِهِ لِلنِّيرَانِ ، وَبِقَلْبِهِ لِلرَّحْمَنِ. }[35]

أوفى وأعطى لكل حقيقة حقها، مشــغول بالكلية بمولاه، وسماه الله خليلاً لأن محبة الله تخللت كل أفياء قلبه، فلم يبق موضـــع ذرة في قلبه إلا ومُليء وغُمر بمحبة الله ﷻ، حتى أن الملائكة تعجبت من ذلك، فســألوا الله ﷻ في ذلك، فأراد الله ﷻ أن يُعلمهم حقيقة ذلك، فأمر مَلَكاً من الملائكة أن يهبط إلى الأرض، وأعطاه جمال الصــوت، فنزل المَلَك وذَكَر الله بصــوت رخيم، فغاب إبراهيم عن وعيه، وهام بقلبه في ربه، وبعد أن أفاق قال: بالله عليك أعد عليَّ هذا الذكر الذي ذكرته، قال: لا أعطيك هذا حتى تدفع الثمن، قال: وما الثمن؟ قال: أن تعطيني وادٍ مملوءاً بأغنامك وأبقارك، قال: لك كل ما أملك من الأبقار والماعز والأغنام والجِمال على أن تُســمعني ذكر الله ﷻ الذي سمعته منك الآن، فقال: صدق من سماك خليلاً!!.

مُهَيَّم بالله جل في علاه، لا ينشـــغل عن الله ﷻ طرفة عين، ورباه الله ﷻ على عنايته، وأنتم تعلمون أنه عندما واجه قومه ودعاهم إلى طاعة الله، فكذبوه، وخرجوا في يوم عيد فســـبقهم إلى أصـنامهم التي يحتفلون بالعيد عندها وكسَّـر رؤوسـها، فلما رأوها قالوا لا يفعل ذلك إلا إبراهيم لأنه دائماً يذكرها:

﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥ إِبْرَٰهِيمُ ﴾ (60الأنبياء)

فأحضروه، وقالوا له كما أخبر القرآن:

﴿ قَالُوٓا ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾ (62الأنبياء).

---

35 أحكام القرآن لأبن عربى.

وهنا الخُلُق الثالث الذي لا بد منه للسالك في طريق الله وهو أن يكون صادقاً في كل قول ولا يكذب، ولو كان الكذب سـيُنجيه من الموت ويجعل له حياة، وكما قيل: (إن كان الكذب يُنجي فالصدق أنجى) إذاً ماذا يفعل؟ قال ﷺ:

{ إِنَّ فِي الْمَعَارِيضِ لَمَنْدُوحَةً عَنِ الْكَذِبِ } [36]

والمعاريض غير التقية، فالتقية يريد بها شيئاً عند الخلق غير الذي في نفسه، لكن المعاريض يريد شـيئاً للحق ﷻ لا يسـتطيع أن يتحمله خلقه، فقال إبراهيم: ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ (63الأنبياء) وأشار بأصبعه الأكبر، هو يقصد أصبعه الأكبر، وهم فهموا أنه يقصد الصنم الأكبر.

فجمعوا الأحطاب ليحرقوه، واسـتمروا –كما قيل – لمدة شـهرين يجمعون الأحطاب ويتنافسـون فيها، وأوقدوا فيها النار، وعندما اشـتعلت النيران لم يسـتطيعوا أن يقتربوا منها ليلقوه فيها، فجاءهم الشيطان وأرشـدهم إلى وسيلة يقذفونه بها في النار، بأن يجعلوا خشـبتين على الجبل، وبينهما خشـبة متحركة، ويُجلسـونه عليها، ويُكتفوه ويربطوه بالأحبال، ويُحركونها بشـدة فيُلقونه في النار، ضجت الملائكة وقالوا: يا ربنا نبيك ورسولك يُحرق بالنار، فقال رب العزة ﷻ مُلقناً لهم درساً عظيماً في التوحيد: هل استغاث بكم؟ قالوا: لا، قال: إن كان استغاث بكم فأغيثوه، قالوا: ولا بد، قال: أنزلوا عظيمكم، انزل يا جبريل، فنزل جبريل وهو في الفضاء قال: ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا، قال: ألك حاجة إلى الله أبلغها له: قال: علمه بحالي يُغني عن سـؤالي، فكانت النتيجة: ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ (69الأنبياء).

أحرقت النار أحباله، لأنها لا تحرق إلا بإذن الله، ونزل الأمين جبريل، فمد يده في الجنة وجاء بشـجرة تفاح وغرسـها بجواره، وجاء بأريكتين من الجنة أجلسـه عليهما، ووضـع أصـبعه في الأرض فنبعت عين ماء، فجلس إبراهيم في وسـط النار يأكل من التفاح، ويشـرب من الماء، وهم يظنون أن النار أكلته وانتهت منه، حتى إذا خمدت النار بعد مدة طويلة فوجئوا بهذا الوصف الكريم.

36 سنن البيهقي عن عمران بن حُصين ﷺ

هذه العناية الإلهية التي شمل الله ﷻ بها إبراهيم هي بشـــرى لكل من اســـتمســـك بدين الله، وصـــمم ظاهراً وباطناً أن يكون قلبه معلق بمولاه، بأنه لو اجتمع عليه الناس جميعاً كما اجتمعوا على إبراهيم فلن يستطيعوا ضُرَّه، لأن الضار النافع هو الله، وإن كادوا له المكائد فإن الناصر والحامي له هو الله الذي حمى إبراهيم في لهب النار.

ولو حتى سجنوه أو جعلوه في مكان ومنعوا عنه كل ما يريد فإن الحق يوصل له كل ما يريد في أى مكان لأننا وإن كنا نراه بعيد فليس هناك بعيد عند الحميد المجيد ﷻ، المهم أن نعمل بقول الله:

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ ﴾ (3الطلاق).

إذاً لا بد من ثلاثة أمور، أولاً: ملء القلب بحب الله.

ثانياً: أن يكون عمله وقوله كله لله، لا يبغي من الخلق نفعاً ولا يخشـــى منهم ضـــراً، ولا يرغب في خير بســـــببهم إلا إذا كان عن إذن من الله، لأن الخير كله بيد الله ﷻ، إذاً ينوي في كل أفعاله وأقواله وجه الله ﷻ.

ثالثاً: أن يتحرى الصدق، قال ﷺ:

{ عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا } [37]

ومن أول البنود التي يأخذها مشايخ الطريق على المريدين ..... الصدق:

سـيدي عبد القادر الجيلاني ﷺ وأرضـاه كان شـاباً يافعاً، وكان يسـكن مع أمه وأخيه في بلاد فارس، واســتأذن من أمه أن يأتي إلى بغداد لطلب العلم، ولا يرجع إلا إذا حصَّـل العلم، فقالت له أمه: عاهدني على الصـدق، فعاهدها على الصـدق – نسـاء مربيات كالنسـاء اللاتي رباهن سـيدنا إبراهيم عليه السلام – وقالت له: لقد ترك أبوك لك ولأخيك ثمانين ديناراً فخذ نصيبك وسافر، ووضعت له الدنانير داخل الجلباب وخاطته بالخيط حتى لا يفتحه إلا إذا وصل إلى بغداد،

37 صحيح مسلم وسنن الترمذي عن عبد الله بن مسعود ﷺ

وسافر مع قافلة، لأنهم كانوا لا يمشون إلا في قوافل لانتشار قُطَّاع الطريق، فخرج على القافلة قطاع طريق، فأخذوا ما مع الناس، ثم جاءوا إليه فقالوا: ما معك؟ قال: معي أربعون ديناراً، فأخذوا ينظرون إلى بعضهم ويتبسمون، ثم أخذوه إلى رئيسهم، فقال: ما معك يا غلام؟ قال: أربعون ديناراً، ألا تُصـــدق! هذه هي الدنانير، فلما رآه كذلك قال: لِمَ لم تكذب؟! قال: لأن أُمي عاهدتني على الصدق وعدم الكذب!!

قال: يا قوم إذا كان هذا لا يكذب لأنه عاهد أمه على الصـــدق فما بالنا مع الله ﷻ؟!! أنا تائب إلى الله على يد هذا الغلام، قالوا: ونحن معك، فقال: رُدُّوا إلى القافلة أموالها وأشـــياءها دليل على صلاح التوبة، فكان الصدق هو المنجي له مع أنه كان شاباً في بداية حياته مع الله ﷻ:

الصدق نور يقين كشف حقيقتي به تنجلي الأسرار حال الشهادة

والصدق سُلَّم للوصال ومنـــزل يرقى به الصِـــدِّيق أرفع رتبة

لا بد من الصـــدق: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (119التوبة) فالذي يريد أن يكون من الصـــديقين أو من أهل مقام الخلة لا بد أن يكون صـــادقاً في كل أقواله وأعماله وأحواله، ولا يخش إلا الله ﷻ.

مقام اليقين

والذي يريد أن يكون من أهل مقام الخلة لا بد ألا يســـهو عن زوجه وولده، ويُلاحظهم في شـــريعة الله، ويُربيهم على تقوى الله، ويؤدبهم الأدب الواجب مع من يريد أن يصـــحب حبيب الله ومصطفاه، وهذا الذي كان مع إبراهيم.

هل هناك رجل يُفكر بعقل سديد أو بفكر رشيد يأخذ زوجه وولده ويضعهم في صحراء جرداء لا زرع فيها ولا ضـــرع فيها ولا جار فيها ولا ماء؟! لكنه اليقين الذي بلغه إبراهيم، ومقام اليقين هو مقام الصديقية الكبرى.

مقام اليقين هو الثقة في الله التي لا يعتريها شـــك، ولا ينتابها حذر، ولا يخشـــى من وراءها أى علل، ثقة مطلقة بالله ﷻ كإبراهيم، أمره جبريل على لســـــان الله ﷻ وقال: إن الله يأمرك أن تأخذ هذا الغلام وأمه إلى هذا الموضـع، فإن لله في هذا الموضـع بيتاً ستبنيه أنت وهذا الغلام، فقام بتنفيذ الأمر على الفور.

وترك معهم جراب من التمر، وزمزمية ماء، فقالت له زوجته الســـيدة هاجر: يا إبراهيم إلى من تتركنا ههنا؟

فلم يجبها، وكررت هذا النداء ثلاث مرات، ثم قالت: ألله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذاً لا يُضيعنا.

ينبغي أن تكون الزوجة على هذا المقام!!

لكن أســـير إلى الله، وأرتفع مع أحباب الله، وأترك زوجتي مع الشـــهوات والحظوظ والأهواء في هذه الحياة، بذاك أكون قد ربيت عدواً لي في هذا المنزل، لأنها ستسألني إلى أين أنت ذاهب؟ وماذا تفعل؟ وغير ذلك، لكن يجب أن آخذها معي حتى تسير معي في هذا الطريق.

مَن الذي علَّم الغلام أن رؤيا الأنبياء في المنام أمر من الملك العلام ﷻ؟ تعلم ذلك في مدرسة أبيه: ﴿ فلما بلغ معه السعى قال يـبنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يـأبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصـبرين ﴾ (102الصافات) .

من أدبه العالي عبارته، فإن موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام عندما طلب صحبة العبد قال:﴿ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا ﴾ (69الكهف) ولم يستطع موسى أن يصبر!!!

لكن إسماعيل عليه السلام قال: ﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ أدخل نفسه في الجماعة، فأعانه الله عز وجل على هذه الطاعة، ولذلك علَّمنا الله عز وجل أن نقول في الصلاة الفاتحة بلسان الجماعة، فلا تقول (اهدني الصراط المستقيم) ولكن: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾ لأن لسان الجماعة أقرب إلى الإجابة، ويُعلمنا الله بذلك أن الدعاء المُجاب المُستجاب يحتاج إلى الجماعة.

علامة أهل الخلة

إذاً علامة أهل الخُلَّة، وعلامة الصادقين، وعلامة الصالحين الذين يرفع الله درجاتهم أن يكون زوجاتهم وأولادهم سـائرين على دربهم ماشـين على نهجهم بالرفق واللين: ﴿ وأمر أهلك بالصلوة واصطبر عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى ﴾ (132طه).

مَن أول من آمن برسول الله ﷺ؟ زوجته السيدة خديجة، ومن الصبيان علي ﷺ الذي تربى في بيته، ومن العبيد زيد بن حارثة، الذي سمع بمكانه أبوه فجاء بأعمامه وأخواته إليه في مكة وقالوا: يا محمد أنت من أهل بيت يُكرمون الضيف، ويقيلون العثرة، وقد جئنا لنأخذ إبننا هذا وخذ ما شئت من المال، فقال ﷺ: أو خير من ذلك؟ قالوا: وما هو؟ قال: اجلسوا معه وخيروه، وسأتركذكم معه ثلاثة أيام –انظروا إلى اليقين – وأخذوا يفاوضونه، وهو يقول: لا أترك هذا الرجل أبداً، فيقولون له: أترضى بالعبودية وتترك الحرية؟! يقول: نعم! من أين ذلك؟ من الذي رآه من الأخلاق الكريمة، والجمالات العظيمة في رسول الله ﷺ.

الخُلُق الكريم

كذلك من يبلغ هذا المقام لا بد أن يصـــل إلى مقام الخُلُق الكريم، قال الله تعالى لإبراهيم الخليل:

{ يا خَلِيلي حَسِّنْ خُلُقَكَ وَلَوْ مَعَ الْكُفَّارِ، تَدْخُلْ مَدَاخِلَ الأَبْرَارِ } [38]

إذاً آخر شيء في هذا المقام الخُلُق الكريم على نهج رسول الله، وعلى أوصاف كتاب الله، حتى يكون الإنسان صورة طيبة لأهل الإيمان في هذه الحياة.

نسـأل الله ﷻ أن يُبلغنا هذه المقامات، وأن يرفعنا إلى هذه الدرجات، وأن يُعلي شـأننا عنده في الطاعات في الدنيا، وأن يجعلنا من أهل الإكرامات في الجنات في الآخرة، وأن يُرينا وجهه الكريم، ويكشـف لنا عن حبيبه العظيم، وأن يُبلغنا ظاهراً زيارة بيت الخليل، وباطناً الوصـول إلى مقامه الجليل، وأن يتنزل في قلوبنا بمعاني التنزيل والتأويل وصـلى الله على سـيدنا محمد وعلى آله وصـحبه وسلم

38 المعجم الأوسط للطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه



الفصل الثالث:-

ميزان ابتلاء الأنبياءوالأولياء

ميزان إبتلاء الأنبياء والأولياء

قلوب الصالحين



﴿فلما أسلما وتله‌ۥ للجبين ١٠٣ ونـٰديـٰنه أن يـٰإبرٰهيم ١٠٤ قد

صدقت الرءيا إنا كذٰلك نجزى المحسنين ١٠٥﴾

الفصل الثالث

ميزان ابتلاء الأنبياء والأولياء

ميزان إبتلاء الأنبياء والأولياء

هؤلاء القوم ..... لأن الله أدخلهم في معيته .... وجعلهم من أهل حصـــون عنايته .... فإن الله ﷻ يغار علي قلوبهم أن يدخل فيها غير حضرته!!!

فجعل سبحانه لهم معاملة مخصوصة بالقلوب مع حضرة علام الغيوب ويحاسبهم الله ﷻ علي ذلك بمثاقيل الذر !!!! حتى يدوم صفاؤهم .... ويدوم نقاؤهم ...ويدوم أنسهم ... وتدوم لهم معية الله ﷻومن هذا الباب فســر إن شــئت كل ما هو في ظاهره بلاء أو ابتلاء للمرســلين والأنبياء والصالحين والمتقين!!!

ظاهره بلاء لكن باطنه اجتباء واصـطفاء لأن الله ﷻ أحبهم ولا يرضـي لهم أن يبرحوا عن بابه أو أن ينشغلوا عن حضرته أو يلتفتوا عن جمال سدرته أو طلعته!!!!

يريدهم دوماً عليه مقبلين وبه ﷻ ســائرين وإليه ﷻ من كل شــيء في الدنيا يفرون في كل أحوالهم حتى ينالوا المقام الأمين الذي يقول الله ﷻ في شأنه لسيد الأولين والآخرين

﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ (99الحجر)

ومن هنا كانت قصــص الأنبياء والمرسـلين وتبريرها بهذا الميزان الذي ذكرناه وهو ميزان البلاء والابتلاء للمرســلين والنبيين والصــالحين، الله ﷻ يغار علي قلوبهم أن يدخل فيها غير ذاته، يجعلوا أجسـامهم لمن يشـاءون من زوجة أو ولد أو أهل أو صـحب أو عمل أو دنيا فانية، لكن القلب لا يكون إلا لله ولا يسـمحون طرفة عين ولا أقل أن يتغير أو يتحول عن حضـرة الله، فإذا تحول أو تغير بادره مولاه بالابتلاء ليرده إلي الحضـرة الإلهية ويجعله دوماً في معية الله، وإذا انشـغل عن الله رده الله ﷻ بالابتلاء والاجتباء حتى يصـــطفيه وينقيه ويجعله دوماً مع الله في كل حال، وهذا ســر بلاء كل الأنبياء والمرسلين.

وانظروا معي إلي أبينا إبراهيم عليه وعلي نبينا أفضـل الصـلاة وأتم التسـليم عندما بين الله ﷻ لنا لمحات من تربية الله ﷻ له، فهي تربية بالبلاء للرسـل والأنبياء والصـالحين والمتقين تربية ربانية، الله يربيهم بذاته ولا يوكلهم إلي أحد من مخلوقاته: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ (39طــه) يصنع علي عينه !!!! .. بهذا البلاء ......

فلما هاجر إلي فلسطين، ورأي الله ﷻ في قلبه شهوة الولد، رزقه الله ﷻ بالولد، لكن الله عندما يرزق أحبابه وأولياءه بأي نعمة من نعم الدنيا، أدبه معهم وأدبهم معه ﷻ أن يكون ذلك في أيديهم وليس في قلوبهم، ولذلك كانوا خيار المؤدبين من أصحاب النبي الأمين يقولون "اللهم اجعلها في أيدينا ولا تجعلها في قلوبنا" لأنهم علموا أن القلوب لله ولا يجب أن تشغل عن حضرة الله نفساً ولا أقل، فلما انشغل قلب الخليل بالغلام أمره رب الغلام وخالق الغلام أن يخرجه من قلبه، وإكراما له ولصلاحه يلقيه في موضع البيت الحرام.

انظروا إلي أدب الله مع كمل أنبياء الله ورسل الله، ولذلك سيدي عبد القادر الجيلاني ﷺ وأرضاه يقول وُلد لي اثني عشر ولداً ما ولد لي واحد منهم إلا وكبرت عليه أربعة تكبيرات، أي لم يجعله في قلبه، وإن كان هذا ليس المقام الأعلى لكنها أحوال الصالحين والمتقين يخرجه من قلبه ويتركه لله يتولاه

﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ (196الأعراف)

أيهما أكرم وأيهما أعظم أن تتولي ابنك بولايتك أو يتولاه الله ﷻ وهو الولي بولايته؟ ولاية الله.

ولذلك سئل سيدي عبد الوهاب الشعراني ﷺ لمَ نري أولادك بررة وصالحين ومتقين وفي الدنيا مرزوقين ومستورين مع أنك ليس عندك وقت لرعايتهم؟ فقال ﷺ انشغلنا بالله وتركنا أمر الأولاد علي حضرة الله فكانت عناية الله بهم أكمل من عنايتنا بهم لو كنا معهم بهذه العناية، وهذه هي أحوال الصالحين في كل وقت وحين.

ذهب إبراهيم بعد ذلك لزيارة ابنه عندما بلغ مقام اليفوعة ثم الشباب، وصار شاباً غضاً يسر النظر، فدخل الإعجاب به في فؤاده، فأدبه الله ﷻ وطلب منه ذبحه: ﴿قَالَ يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴾

"فانظر ماذا تري" أي أن إسماعيل كان من أهل الكشف لأنه نبي، وما الذي عرَّف إسماعيل أن هذا أمر؟ الإلهام الذي ألهمه به الذي يقول للشيء كن فيكون، فكان إسماعيل غلام مُعلَم يري الغيبيات ويري بنور قلبه الأمور المعنويات لأن الله رباه علي ذلك فقال لأبيه :

﴿قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ (102الصافات)

وزاد إسماعيل فقال لأبيه لا تخبر أمي بذلك حتى لا تحزن عليَّ، وأخذا الحبل والمنجل وتظاهرا أنهما ذاهبان ليحتطبا، وذهبا إلي مِني وقد أخفي المدية أي السكّين في ثيابه، وبعد أن وصلا والقلوب بالله ﷻ اتصلتا، قال يا أبت اشحذ المدية حتى تقطع بسرعة وكبني علي وجهي حتى لا تنظر إلى وجهي فتأخذك الشفقة في تنفيذ أمر الله ﷻ ،وانزع قميصي حتى لا يقع عليه الدم فتراه أمي فتحزن لأجلي، وشد وثاقي جيداً حتى لا يرتج عليَّ فأتململ من تنفيذ أمر ربي، ولما شد وثاقه قال يا أبت فك وثاقي حتى لا تقول الملائكة إني خائف من تطبيق وتنفيذ أمر الله ولا أنفذ أمر الله إلا موثقاً بالحبال، فقال الأب نعم العون أنت لأبيك يا بني، قال تعالى (سورة الصافات) :

﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾﴾

فلما أسلما الوجه لله، لما تحقق كمال إسلام قلبه وباطنه لمولاه وأخرج منه شعبة حب الولد، ولم يعد فيه غير مولاه رفع الله ﷻ فوراً عنه هذا البلاء.

إذن البلاء للرسل والأنبياء والصالحين والأولياء إنما هو تأديب من الله ﷻ لهم ليرجعوا إلي حضرته بالكلية إذا التفتوا عن حضرته طرفة عين أو أقل، فيتم لهم الاجتباء ويكمل لهم الصفاء ويكونوا في معية الله ﷻ الدائمة لا يشغلهم عن الله ﷻ أحد سواه، ولذلك قال الله ﷻ كما ورد بالأثر:

{ يا إبراهيم أتدري لِمَ اتخذتك خليلاً! لأنك جعلت بدنك للنيران، ومالك للضيفان، وولدك للقربان، وقلبك للرحمن }[39]

﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ (125النساء)

هذا المقام وهو مقام الخلة جعل الله ﷻ لهذه الأمة نصيباً عظيماً فيه فقال فيه ﷺ فى معنى الحديث :

{ لا تخلو الأرض من أربعين رجلاً علي قدم خليل الرحمن إبراهيم .فبهم ترزقون وبهم تغاثون وبهم تنصرون وإذا أراد الله ﷻ بأهل الأرض عذاباً نظر إليهم فصرف العذاب عنهم }[40]

---

39 ورد بالأثر بمعناه بروايات كثيرة وطرق متعددة بتفسير الرازى وتفسير غرائب القرآن' وتفسير ابن كثير وتفسير اللباب فى علوم الكتاب وتفسيؤ السلمى، وغيرها وفيها أيضا قلبك للعرفان ولسلنك للبرهان .
40 حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني

هم علي الأقل أربعون فقد يزيدون لأن فضل الله واسع وعطاء الله غير مجذوذ، ولأن فضل الله لهذه الأمة لا يحد ولا يعد لأنها أمة سيد الأولين والآخرين، وقد قال الله ﷻ له خصوصية له :

﴿وكان فضل الله عليك عظيما﴾ (113النساء)

نفس الحال يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام:

فقد علم يعقوب بوحي الله وإلهام الله أن يوسف وارث نبوته، وهو الذي سيحمل أمانة النبوة من ولده، وزاده الله ﷻ تأكيداً ووضوحاً عندما أعلم الله ﷻ الغلام وهو غلام عندما رأي الرؤية فقال له فى الآية:

﴿لا تقصص رءياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا﴾ (5يوسف)

تربية الله ﷻ للأنبياء عظيمة وللصالحين كذلك عظيمة... فعاتبه الله علي ذلك لأنه لم يلحظ أن الله يلحظه بعنايته ويحفظه بحفظه وصيانته لأنه مستودع لنبوته، كيف يحمل النبوة ويتخلى عنه مولاه طرفة عين أو أقل؟ وكيف يصل إليه أحد من البشر بمكروه والله ﷻ أعلي شأنه وجعله نبياً من أنبياءه؟ .. فجعل الله ﷻ إخوته يكيدون له كيداً، فلو لم يذكر ذلك ما حدث له ذلك، وعندما جاء إخوته ليأخذوه سها وقال فى سورة يوسف :

﴿وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون ﴿١٣﴾﴾

فكانت كلماته هي الحجة التي اتكأوا عليها والمخرج الذي يخرجون به مما يفعلون، فعندما عادوا وسألهم عن يوسف قالوا أكله الذئب، فجاء الذئب عندما أعلمه الله بذلك وجاء ماشياً حتى وقف أمام نبي الله يعقوب وقال يا نبي الله أنت تعلم أن الله حرم علينا أكل لحوم الأنبياء، فحرم الله علي الحيوانات أجساد الأنبياء وحرم الله علي الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء لأن الله عصمهم وحفظهم بحفظه وجعل الله العصمة للأنبياء والحفظ وراثة للأولياء الكمل الذين تابعو الأنبياء والمرسلين.

وكذلك كمل الأولياء؛ سيدي إبراهيم الدسوقي عندما وضعوه مع أسد جائع جداً في قفص، لم ينشغل بذلك وإذا بهم يجدون الأسد يربت علي كتفه، فقالوا له بعد ذلك أما خفت الأسد؟ قال من انشغل بالله كيف ينشغل بغيره؟! قالوا وبما كنت تحدث نفسك؟ قال أقول هل سؤر الأسد طاهر أم نجس؟ وغيره من الصالحين كثير .

فلما انشغل يعقوب بولده .. مثل الذي حدث مع جده أبعده الله عنه :

﴿وَابيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾ (84يوسف)

ليس علي يوســف، ولكن علي الذنب الذي ظن أنه ارتكبه لأنه لم يوكله إلي الله ﷻ ولو وكله إلي الله ما برح دياره طرفة عين ولا أقل.

سيدنا يوسف عليه وعلي نبينا أفضل الصلاة و السلام عندما انشغلت به زوجة العزيز وقُدم للمحاكمة وقال:

﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ (33 يوسف)

فلم يعتمد تمام الاعتماد الواجب علي الأنبياء في هذا المقام علي حضـــرة الله فأدخله الله السجن ومكث فيه سبع سنين كما أخبر الله.

قلوب الصالحين

قلب الرجل الصالح الذي يريد أن يكون من أهل المقامات لا ينشغل عن الله طرفة عين ولا أقل، ينشغل بجسمه مع أولاده ومع أهله ومع أصحابه لكن قلبه مع الله ﷻ ، ولذلك مولانا الإمام أبو العزائم ﷺ كان يقول في هذا المقام وهو في البرلس:

لولا الذين تحبهم لفررت من	كل الخلائق سائحاً فرارا
لكن قلوب العاشقين دعت إلي	أني أقيم بدارهم مختارا
قلبي لديك وبالبرلس هيكلي	أوصل إليك الصب أعلي منارا

حتى أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله ﷻ عنهم لما كانوا في غزوة بدر لا يعتمدون إلا على الله والقلوب معلقة بحضرته، لا على السلاح ولا على عتاد ولا علي جمع ولا علي قوة بدنية، لا يعتمدون إلا علي المعونة الربانية، فكانت النتيجة أن نصرهم الله:

﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة﴾ (123آل عمران)

وفي غزوة حنين عندما رأوا جمعهم وكثرة عتادهم وقوة سيوفهم وشدة رماحهم وقالوا لن نهزم اليوم من قلة، أعطاهم الله ﷻ درساً في البداية لكنه أعقبه بالنصر في النهاية من أجل الحبيب المختار ﷺ، وقال معللاً ذلك:

﴿لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين﴾

(25التوبة)

ثم كان سر النجاح:

﴿ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾(26 التوبة)

القلة المتحققون الذين كانوا حوله فهم الذين جاء الله بالنصر من أجلهم لأنهم قلوبهم لم تتعلق إلا بحضرة الله، ولم ترتكن علي غير الله طرفة عين ولا أقل، ولذلك لما فر أصحاب حضرة النبي من حوله وهربوا والعدو يحيط به من كل جانب ركب بغلة لا فرسا ومعروف بطئها، ومشي وهو يقول: أنا النبي لا كذب   أنا ابن عبد المطلب

لأن الله حفظه بحفظه وعصمه بعصمته وقال له

﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (67المائدة)

هذه هي معية الله التي علمها في الدرس العملي لأبي بكر الصديق ﷺ وأرضاه عندما قال أبو بكر يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا، قال ﷺ :

{ يا أبا بكر ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (40التوبة) **، ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟! ثم أشار إلي مؤخرة الغار فوجد بحراً عجاجاً مطمطماً وعلي ســـاحله باخرة جاهزة عليها رجال يتأهبون للسفر، وقال يا أبا بكر لو جاءوا من هاهنا لخرجنا من هاهنا }** [41]

فكانت النتيجة عندما ارتدت الجزيرة العربية كلها ولم يبق إلا القليل الذي احتفظ بإســـلامه ودينه – من الذي استوعب الدرس من الأصحاب؟ إنه أبو بكر، فجهز احدي عشر جيشاً وترك المدينة، قالوا يا خليفة رســـول الله تترك المدينة وزوجات النبي أمهات المؤمنين ونســـاء الأنصـــار والمهاجرين بدون جيش يدافع، فقال قولته كما أخرج البيهقى عن أبي هريرة: { والذي لا إله غيره لو جرّت الكلاب بأرجل أزواج النبي ﷺ ما رددتُ جيشـــاً وجهه رســـول الله، ولا حللت لواءً عقده رســـول الله } وعند سَـيْف عن عُروة فى حياة الصـحابة { قال أبو بكر ﷺ: والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننتُ أنَّ الســـباع تخطفني لأنفذتُ بَعْثَ أســـامة كما أمر به رســـول الله ﷺ ولو لم يبقَ في القرى غيري لأنفذته}.

لماذا؟ لأنه واثق في الله! واثق في فضل مولاه، وفي معية الله ومن كان في معية الله فإن ثقته بمولاه تجعله يستسهل كل صعب ويواجه كل شدة ولا يهمه أي أمر في هذه الحياة لأنه يمشي بالله ويتحرك بالله وتحوطه عناية مولاه ﷻ.

وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم

---

41 السيرة الحلبية



الفصل الرابع:–

الابتلاء للعطاء

العهد الأول بين الله وخلقه

حكمة الخلق الجديد

كنز الحقائق

برهان صدق الإيمان



سر ابتلاء الأصفياء

تنوع الابتلاء للرسل والأنبياء

لله الحجة البالغة

غرس الإيمان

الفصل الرابع
الابتلاء للعطاء

لو رجعنا لكتاب الله وإلي أحاديث حبيب الله ومصطفاه نجدهما يفيضان بالأحاديث الجمة عما تعرض له أنبياء الله ورسل الله من أنواع البلاء التي صبها عليهم الله جل في علاه ومنها ما أشار إليه الرحمن عن سيدنا إبراهيم .إذ يقول عز وجل:

﴿ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ.. ﴾ (124البقرة)

فليس بلاءا واحداً لأنه عبر بكلمات وكلمات يعني أنواع من البلاء .. وما النتيجة؟ ..فأتمهن، أي أتمهن كما يحب مولاه وكما يرضى الله فكانت النتيجة:

﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ (124البقرة)

أي أن الله اختاره للإمامة ، والإمامة في هذا المقام هي النبوة والرسالة ، فكأنه لا عطاء إلا بعد بلاء وكما قال مولانا الإمام أبو العزائم ﷺ: "لا منحة إلا بعد محنة ولا عطية إلا بعد بلية"ومن أراد العطاء بغير بلاء فقد رام المحال لأن الله لم يرضى ذلك لأنبيائه ورسله وهم أعز الخلق عنده بل إن الحبيب الأعظم ﷺ أشار إلى القاعدة الإلهية الشاملة لجميع البرية في هذا المقام وهي التي يدور حديثنا عنها اليوم فقال صلوات ربي وتسليماته عليه:

{ إذا أحب الله عبداً ابتلاه – لماذا؟ – **فإذا رضي اصطفاه وإذا صبر اجتباه }** [42]

مقامان لا ثالث لهما في تقبل بلاء الله .. فمن يتقبل هذا البلاء بالرضا عن الله تكون النتيجة أن الله يصطفيه ويجعله من المصطفين الأخيار ويدخل في قول الله عزَّ شأنه :

﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾(75الحج)

والرضا يعني أن يرى هذا الفعل من ربه فيسلم لأمر ربه ولا تنازع نفسه فيما قضى به ربه .. فلا يتقبل البلاء على مضض ولا حرج ولا ضيق ولا زهق بما قضى الله ... وليس معنى ذلك أن يترك البلاء بدون مدافعة ، لكن يدفع البلاء قدر طاقته وإذا وجد في النهاية أنه عاجز عن دفعه بكل طاقته يعلم أنها إرادة الله فيرضى بما قضى الله ويسلم الأمر لله ويعمل بقول الله لحبيبه ومصطفاه فيمن أراد الله أن يحبوهم بمقام الاصطفاء:

---

42 شعب الإيمان للبيهقى عن ابن مسعود .

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (65 النساء)

فيسلم بما قضى به الله فإن في ذلك الخير كل الخير.

لأن الله يجتبيه ويصطفيه كما أنبأ النبي ﷺ وإذا لم يستطع أن يكسب نفسه مقام الرضا عليه أن يصبر– والصبر أن يتقبل الأمر على مضض – لكنه لا يجزع ولا يهلع ولا يقول ولا يفعل شيئاً يغضب الله ﷻ .. وهذا مقام الصبر الجميل "وإذا صبر اجتباه" .

وهناك فارق كبير بين المصطفين الأخيار وبين المجتبين الأطهار لأن هؤلاء أهل مقام وهؤلاء بعدهم بآلاف الدرجات في الرفعة والمقام عند رفيع الدرجات ذو العرش المجيد ﷻ.

العهد الأول بين الله وخلقه

إن الله يا أحباب أخذ العهد على جميع الخلق :

وهم أرواح نورانية أو نفوس ظلمانية ظهرت في صورة روحانية فكان منهم الأرواح النورانية وهي أرواح المؤمنين والمسلمين والمحسنين والمتقين والموقنين ، وهناك نفوس ظلمانية وهي نفوس الكافرين والجاحدين والمشركين والبعيدين عن رب العالمين.

جمع الله ﷻ أرواح ونفوس الجميع حيث لا حيث ولا أين ولا تسأل أين لأن الأين للمكان وهم كانوا في حضرة قبل خلق المكان وقبل خلق الزمان في حضرة الربوبية للواحد الديان ، وحضرة الربوبية قريبة العهد بعالم الظهور وقبلها حضرة الألوهية وقبلها حضرة الهوية ، حضرات كثيرة لا يعلمها إلا أهل اليقين الذين دخلوا مدرج اليقين وتلقوا بأرواحهم من سيد أهل اليقين ﷺ.. والكافر يا إخواني ليس له روح ولا قلب وإنما له نفس .. لكن الأرواح والقلوب للمؤمنين والمتقين والبيان في قول الله ﷻ وفي كلامه سبحانه يقول :

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ (37ق)

أي لمن له قلب إذاً ليس كل إنســـان له قلب ونقصــــد بالقلب: القلب الذي يعقل عن الله وليس القلب الموجود في هذا الجســم أي قطعة اللحم الصـنوبرية لكن القلب المقصـود هو الحقيقة الغيبية النورانية التي تعقل عن الله وتتلقى كلام الله وتفقه حديث حبيب الله ومصــــطفاه ﷺ، هذا القلب عناية من الله لأهل التقى والإيمان في كل زمان ومكان أما الكافرين فهم أهل نفوس، والروح مقام خاص يقول فيه الفتاح: (15غافر)

﴿ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾

لا تقل إن فلان روحه تفارقنا ولكن قل إن نفســـه تفارقنا، لا بد أن تكون دقيقاً في الإجابة وإجابتك توافق بيان الله وحديث رسول الله، من الذي يمت في كتاب الله ؟

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ (42الزمر)

الأنفس :

﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ ﴾

وهذا للكافرين :

﴿ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ﴾ (93الانعام)

حتى المؤمنين هل يقول فيهم الله عز وجل: يا أيتها الروح المطمئنة؟ لا ولكن يقول:

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ (27الفجر)

لأن الروح لا تموت لأنها صـفة الحي الذي لا يموت فهي من أمر الله فأخذت صـفة الدوام من الله فلا تموت ولا تفوت، فـالجســـم يفنى والنفس تفنى أو تـذوق الموت ولكن الروح لا تموت أبـد الآبدين لأنها من الله ﷻ:

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ (29الحجر)

فتأخذ صفة الدوام لأنها من الدائم ﷻ وهذه لا يحصل عليها كافر ولا مشرك ولا سافل وإنما يخص الله ﷻ بها عباده المقربين والمحسـنين والمتقين الذين يخصـهم بهذه الروح العالية التي هي من الله رب العالمين ﷻ وإلا بالله عليك قس هذه القضــــية المنطقية العقلية من فيه روح من الله أيجوز أن يعذبه الله وهو فيه روح من مولاه؟

لا يجوز إذ كيف يعذبه الله وهو فيه روح من الله ﷻ هذه الروح وهي سـر الفتوح تحفظه من عذاب الخزي ومن عذاب البعد ومن عذاب الصدود والهجران وتجعله دائماً وأبداً في حضرة الرحمن كما قال صريح القرآن: (128النحل)

﴿ إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾

أردت أن أوضح بعض اللبس الذي ينشأ عند بعضنا في الجامعة الحقية التي جمعنا فيها الله ﷻ في يوم الميثاق ، وإن أردت شبيهاً لها تقريباً لوصفها ففي آيات الله ذلك فعندما أمر الله ﷻ الملائكة بالسـجود لآدم .. أمرهم بالسـجود وكان من جملتهم لأنه شـاركهم في عبادتهم ، وإن كان ليس من نورانيتهم وشـفافيتهم إبليس عليه لعنة الله ، وقد صـدر له الأمر لأنه وسـطهم وبينهم ولكن الله ﷻ بين سر إبائه فقال في كتابه:

﴿ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ (50الكهف)

أصـله كان من الجن لكنه عندما عاش بينهم وشـاركهم في العبادة أخذ أوصـافهم وإنطبق عليه حالهم فالنعيم الذي كانوا فيه كان يشـاركهم فيه والأمر الذي صـدر لهم صـدر له معهم لأن الله يريد أن يعليهم ويرقيهم بالسجود لآدم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام .

وهي نفس الحقيقة :

فهؤلاء المؤمنون أرواح نورانيـة وهؤلاء الكـافرون نفوس ظلمـانيـة تجلى الله ﷻ لهؤلاء بجمـالـه ولرسـله وأنبيائه بكماله وللضـالين وللمشـركين والجاحدين والكافرين بقهره وانتقامه وكلها أسماء الله فإن الله ﷻ له أسماء كمال تجلى بها لأهل الكمال وله أسماء جمال تجلى بها لأهل الجمال وأهل الوصـال وله أسماء جلال أسماء قهر وانتقام تجلى بها على الجاحدين والكافرين ليقهرهم على النطق بكلمة التوحيد ليكون له عليهم الحجة يوم لقائه عزَّ وجلَّ يوم الدين حتى يكون الأمر ، كما قال الله:

﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُ ﴾ (149الانعام)

فتكون الحجة من الله لجميع خلق الله .. وكما تعلمون فهناك فرق بين صنفين من ولدك .. بين من يطيعك راضياً ويريد المزيد وبين من يطيعك رغماً عنه لأنه يرى شدتك وبأسك وصولتك فيتقي شرك ويطيعك ، ولو وجد فرصة لعصى وامتنع عن الطاعة فكان الأمر هناك في حضرة الله ﷻ ، لا مناص من الطاعة والكل رأى وواجه ، رأى ما يليق به من جمال الله أو كمال الله أو جلال الله وليست الرؤية واحدة ، والكل نطق وعبر عما يشعر به نحو مولاه ، ومن عظيم كلام الله أنه ساق هذا الخطاب كله في كلمة جامعة واحدة ، لا يستطيع أحد أن يلمح ما فيها من هذه التباينات إلا عباد الله العارفون الذين أشرقت أرواحهم على هذا الوادي المبين ، فرأوا بفضل الله ﷻ أسرار بدء التكوين فقال:

﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ ﴾ (172الأعراف)

قالوا بلى بمحبة ، وهم خيار الأحبة ، والآخرون قالوا بلى مقهورين ومرغمين ويودون أن يفروا من هذا الموقف العظيم ، لأن نفوسهم لا تميل إلا للدناءات والمعاصي والمخالفات ، فتريد أن تفر من هذا الموقف بأي كيفية من الكيفيات ، فقالوا بلى فسجل عليهم الحق قوله :

﴿ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ (172الأعراف)

وهنا ثبتت الحجة لرب العالمين ﷻ على الخلق أجمعين.

حكمة الخلق الجديد

فأراد الله ﷻ وهو الفعال لما يريد أن يضع أقدار ومقادير ورتب العبيد فجعل لهم خلقا جديد ينزلون به إلى هذه الحياة الدنيا ليختبر صـــدقهم في ترديد كلمة التوحيد ولذلك قال ربي عزَّ شـــأنه مبيناً سبب ما نحن جميعاً فيه:

﴿ بل هم في لبس من خلق جديد ﴾ (15ق)

ما سبب اللبس؟....الخلق الجديد وهو ما نحن فيه الآن، وهو هذا الهيكل المصنوع من عناصر الأرض ... من الطين ومن التراب ومن الماء المهين ... لأنه يميل إلى هذه العناصـــر ويميل إلى ما منه قد صـــنع وما منه أوجد فيميل إليها بالكلية ولولا حفظ ربي ﷻ للعطية ما اســـتطاع واحد منا أن يحفظ هذه العطية الإلهية:

﴿ فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين ﴾ (64يوسف)

فكانت حكمة الله في توارد الخلق إلى هذه الدنيا .. بينّها وقال عزَّ شأنه :

﴿ تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ۝ الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾ (الملك)

كما قال ربي عزَّ شأنه في الحقائق النورانية التي لا ترى بالعين الجسمانية:

﴿ بيده ملكوت كل شيء ﴾ (83يس)

والملكوت هو عالم الأنوار والأســـرار الذي ليس فيه أغيار وليس فيه فجار وإنما أهله هم أهل الصـــفاء والطهر من الملائكة المقربين وأهل عالين وعليين وأهل العبادة والطاعة الدائمة لرب العالمين ﷻ: ﴿ بيده ملكوت كل شيء ﴾

أي خلقه بيد .. وقال في هذا الملك الذي نحن فيه :

﴿ تبارك الذي بيده الملك ﴾

كل ما على الأرض من زينة ومن خلق ومن كائنات من حيوانات، من طيور، من حشـــرات، من نباتات، من بحار وأنهار .. كلها خلقها الله بيده وقال فيك أيها الإنسان معاتباً من رفض السجود فيك لأبيك:

﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ (75ص)

أي أنك يا أيها الإنسان قد جمعت الإثنان ... !!!! ففيك الملك .... والملكوت.

كنز الحقائق

وأنت الوحيد الذي فيه الملك والملكوت:

فإن الملائكة فيها الملكوت فقط!

وكل ما على الدنيا فيه الملك فقط!

وأنت الوحيد الذي فيك الملك والملكوت!!

فيك عالم الغيب .. الروح والقلب والفؤاد والعقل والعوالم النورانية التي فيك.

وفيك عالم الشهادة والشهادة هي ما تراه العين ..!

فيك كل شـــيء أوجده الله في الدنيا، كل عناصـــر الخلق فيك وكل ذرات الأنوار فيك فأنت الفرد الجامع لخالقك وباريك عزَّ وجلَّ .. لأن فيك جمع الله ﷻ الحقائق كلها ولذلك يقول إمامنا عليّ ﷺ وكرم الله وجهه:

أتـزعـم أنــك جـرم صـــغـيـر — وفيـك انطوى العـالم الأكبر

دواؤك فـيـك ومـا تـبصـــر — وداؤك مـنـك ولا تشـــعـر

ولذلك حتى مولانا الإمام أبو العزائم ﷺ يتممه وقد كسي لسانه بنور الحق فيقول:

يا صـورة الرحمن والنور العلي — يا سـدرة الأوصـاف والغيب الجلي

فيـك العوالم كلهـا طويـت فهـل — أدركت ســـراً فيك من معنى الولي

فالعوالم كلها فيك !

كل العوالم العالية والدانية .. فالسماء هي مافيك من عالم الطهر والنقاء والصفاء والأرض هي هذا الجسم وما يحويه من عناصر هذه الأرض والقلب هو النور الذي ينزل فيه النور الذي يقول فيه الديهور :

﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ (35النور)

والسـر هو باب البر الذي يفتح على سـر الأسـرار وترياق الأغيار وروح الأخيار ويأتيك منه المدد من كنوز المواهب من عند العزيز الغفار عزَّ وجلَّ والذي فيه سيدنا رسـول الله ﷺ وإن شـئت رأيت فيك كل الحقائق العالية والعناصر الدانية .. فالعالية اسمها حقائق والدانية اسمها عناصر .. كل الحقائق العالية وكل العناصـــر الدانية فيك وفيها يقول الإمام أبو العزائم ﷺ: "تبصـــرك فيما فيك يكفيك "

كل شيء فيك :

فيك جبال، وفيك أنهار، وفيك وديان، وفيك سـهول، فيك كل شـيء في الوجود من عناصـر وكل شيء من عالم الطهر من حقائق !!!!

ولكن هذا يحتاج إلى أن تدير عدســـات التليفزيون النورانية الإلهية التي أودعها فيك خالقك وباريك فترى فيك مالا يستطيع أحد أن ينعته من الأولين والآخرين وإليه الإشارة بقول الله عزَّ شأنه : (53فصلت)

﴿ سَنُرِيهِمۡ ﴾– وهذا في المستقبل– ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلۡأَفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِہِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ ﴾

– فأنت أيها الإنسان مختصر الأكوان.
– والأكوان هي السر الجامع الذي في الإنسان بأجلى توضيح وأرقى بيان.

فأنت كون صغير والكون كله إنسان كبير:

– لأن كل ما في الكون فيك !
– فأنت ريموت كنترول رباني كل كنوز ، الكون العالية والدانية معك مفاتيحها :
  - وإن شئت حركتها!
  - وإن شئت دخلتها!
  - وإن شئت وزعت منها على أن تأخذ الإذن من صاحب الإذن ﷺ.

لكن كل شيء معك وليس خارجك .

فالإنســـان فيه كل ما في الأكوان وهذا أمر لا أريد شـرحه بالتفصـيل لأن الإنســـان يجب أن يمشـــي فيه ويجول فيه بفكره بعد نقاء ســـره وجلاء فؤاده فيرى بنور الله ما جعله فيه مولاه، لكن لا يرى بنور الحظوظ ولا بظلمات الأهواء ولا بالدنيا الدنية إذا كانت مســيطرة على أرجاء القلب فإن كل هذه تجعل الرؤية دنية فلا بد من طهارة القلب بالكلية وصــــفاء الســـــر لرب البرية حتى يرى الإنسان بعين اليقين ويكون كما قال رب العالمين:

﴿ كلا لو تعلمون علم اليقين ﴿٥﴾ لترون الجحيم ﴿٦﴾ ثم لترونها عين اليقين ﴿٧﴾ ﴾ (التكاثر)

ثم بعد ذلك :

﴿ لتسئلن يومئذ عن النعيم ﴿٨﴾ ﴾ (التكاثر)

أي سنرى النعيم .. كيف؟ كما قال مولانا الإمام محمد ماضى أبو العزائم ﷺ:

بعين الروح لا عين العقول   شهدت الغيب في حال الوصول

برهان صدق الإيمان

فأنزل الله بني الإنسان إلى هذه الأكوان ..:

على أدوار بعد أن صـــنع هذا الهيكل من أطوار ليرى صـــدق إيمانهم ومدى صـــفاء ردودهم فيعطي لكل منهم درجاته التي إدخرها له عنده ﷻ ولذلك أشار إلى هذه الحقيقة وقال عزَّ شأنه :

﴿ الم ﴿١﴾ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا ءامنا وهم لا يفتنون ﴿٢﴾ ﴾ (العنكبوت)

وهذا لا يكون ، لماذا يا رب؟

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾

ما الحكمة؟ وما السر يا إلهي ؟ نجده في الآية (3العنكبوت):

﴿ فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكذبين ﴾

إذ كيف سيعرف هذا من ذاك؟

فعند البلاء تظهر حقيقة الأنباء التي رددها الإنسان في عالم الطهر والصفاء ، وهذا سر تقدير البلاء على الناس أجمعين في هذه الدنيا .

سر ابتلاء الأصفياء

أما اجتباء وابتلاء المرسلين والنبيين والمؤمنين فهو:

لرفع درجاتهم ولتعظيم مقاماتهم لأن الله لا يختبرهم وإياكم أن يقول أحد من إخواننا العلماء أن الله يختبر بالبلاء الأنبياء، وهل الله ﷻ يختبر أنبياءه ورســـله؟.وهل يختبر عباده المؤمنين الذين ارتضاهم لهذا الدين؟...لا....لكن يختبر الكافرين والجاحدين والمشركين

ولكن سر البلاء للنبيين والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين هو لرفعة المقدار وزيادة المقام وأقلهم شأناً لزيادة الأجر والثواب وأضعفهم حالاً تطهيره من الذنوب التي تستوجب العقاب .

فإذا كان ضعيفاً ولا يستطيع منع نفســه من الذنوب فإن الله يبتليه ليطهره من هذه الذنوب إذا فهو ليس إختبار وذلك لكي تعرفوا الفارق بين الاثنين ولا تعمموا كلام حضرة الله ...وإذا كان ضـــعيف في العبادة لله عزَّ وجلَّ فإن الله يبتليه ليزيد له الأجر والثواب،..وإذا كانت عنده مطامح للدرجات العالية والمقامات الراقية وليس له همة تواتيه وتوافقه على بلوغ هذه المقامات والدرجات فإن الله يبتليه ليرفعه بها إلى هذه الدرجات وهذه المقامات ولذلك يبين الله عزَّ وجلَّ لخليله ســـر ابتلاءه له:

﴿ وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات ﴾ (124البقرة)

ما هذه الكلمات؟...إن فيها أقاويل كثيرة لأئمة التفســـير وللعلماء العاملين وللأولياء والصـــالحين .. لكنها وفي جملتها بلاء في نفســه وبلاء في قلبه وبلاء في أهله وبلاء في ولده وبلاء في ماله وقد حددها الله وبينها ...، فيم ستبلونا يا ربنا ؟ (155البقرة)

﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ﴾

قال له: وبشر الصابرين وذلك لأنهم ليس معك في المنزلة.. وما حال الراضين؟ إنهم معك ولا يحتاجون للبشارة لأنهم بلغوا المراد ... :

﴿ مع الذين أنعم الله عليهم ﴾ (69النساء)

فهل من يركبون الطائرة معاً عند عودتهم من الحج يهنئون بعضـــهم بســـلامة الوصـــول وقبول الحج ؟...لا، لكن من يستقبلونهم هم الذين يهنئون :

﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ (69النساء)

نسأل الله هذه الرفقة الطيبة المباركة

فقال له ربه: يا إبراهيم أتدرى لم سميتك خليلاً؟ أي لماذا أخذت هذه الرتبة؟

﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ (125النساء)

قال: لا يا رب؟ ...قال:

{ لأنك جعلت بدنك للنيران، ومالك للضيفان، وولدك للقربان، وقلبك للرحمن } [43]

فمن يريد الخلة عليه أن يكون جاهزاً لمثل لهذه الأمور لكي يصـــبح خليلاً لله ولذلك فإن ربنا ينصحنا ويقول:

﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ (125البقرة)

أين مقام إبراهيم؟ هل هو ذلك الحجر الذي هناك؟...إنه موضـــــع أقدام الخليل ولكن مقامه هو مقام الخلة !!!!.. واتخذوه مصـــلى أي عليكم أن تحاولوا الوصـــول إليه ورتبوا أنفســـكم وجهزوا أرواحكم أن تعملوا وتفعلوا لتنالوا مقام الخلة لأنه هو المقام العظيم عند العظيم ﷻ .. ومقام الخلة علاماته وبشاراته:

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾

(75الانعام)

إذا فهو ليس وحده في الفصـــل ، لأنه كما أشـــارت الآية فإن الموقنين كثير .. فأول واحد في الكشف هو سيدنا إبراهيم .. لكن الكشف يحوي كثير غيره .. وهم الموقنون وأهل اليقين.

---

43 ورد بالأثر بمعناه بروايات كثيرة وطرق متعددة بتفسير الرازى وتفسير غرائب القرآن' وتفسير ابن كثير وتفسير اللباب فى علوم الكتاب وتفسيؤ السلمى، وغيرها وفيها أيضا قلبك للعرفان ولسلنك للبرهان .

الذين أعدوا للبلاء الرضا عن الله ﷻ في كل وقت وحين وجهزوا لحضرته الرضا من أنفسهم فلا يتغير حالهم ولا يتوتر شأنهم ولا ترهق نفوسهم ولا يتعكر مزاجهم ولا يروح ويجئ فكرهم لأنهم على يقين أن محبوبهم إذا ابتلاهم فإنما ليجتبيهم ويصطفيهم ويبلغهم مقام عظيم عنده ولا شيء غير ذلك لأننا خرجنا من دائرة الإختبار بفضل الله ولأننا من الأطهار والأخيار ... وبذلك قد وضحنا البلاء وبيناه بالنسبة لأنبياء الله ورسل الله والصالحين من عباد الله أجمعين في هذه الدنيا،...وقد يقول واحد منا لماذا لا يعطينا الله ﷻ هذه المقامات العالية وهي مقامات الإجتباء والاصطفاء بدون بلاء؟

لأن الله ﷻ آل على نفسه العدل وحرم على نفسه الظلم:

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ (46فصلت)

وحتى يكشف الله لجميع أهل الموقف أن هؤلاء ما أخذوا إلا ما يستحقونه ... ودس الله ﷻ في خفية عن العيون مدد لطفه ومعونته وتوفيقه للأتقياء الأنقياء فقبل أن ينزل لهم أو عليهم البلاء ينزل عليهم مدد اللطف والمعونة من السماء حتى إذا نزل البلاء كانوا جاهزين لتحمل الأمر والرضا عن الله فسبحان من انزل البلاء وأعان عليه ثم يثيب ويرفع الذكر والأجر عليه وهذا توفيق من الله وبالله وإليه لعباد الله ﷻ المؤمنين.

لكن الله لو انزل علينا ذرة واحدة من البلاء بدون لطف ومعونة من السماء هل يستطيع الواحد منا أن يتحمل شكة إبرة؟ ... لا والله يا إخواني لكنه ينزل جند لطفه ومعونته وتوفيقه ثم ينزل البلاء ليزيد الأجر والثواب أو يخفف الذنوب ويستر العيوب أو يرفع المقام ويجعل هذا الإنسان من عباد الله الصالحين الذين استحقوا الدرجة العظيمة عند رب العالمين ﷻ.

تنوع الابتلاء للرسل والأنبياء

ولذلك ...

فإن الله يضرب لنا المثل تلو المثل بأنبيائه ورسله :

وقد نوع عليهم ألوان البلاء حتى لا تظن أنك وحدك الذي أفردت بالبلاء فلك مثل وأسوة وقدوة في كل بلاء بعباد الله المرسلين والنبيين وليس الأتقياء فقط ، فإذا أدخلت السجن ظلماً فإن يوسف دخل السجن ظلماً ، وإذا حرمت من الأب والأم صغيراً بغير جريرة ولا سبب فإن رسول الله وكذلك يوسف قد حرما من الأب والأم بلا ذنب ولا جريرة ، وإذا تعرضت لجبارين فإن كل أنبياء الله تعرضوا لأعتى الجبابرة ، إبراهيم للنمروذ وموسى لفرعون ورسول الله لأبي جهل وقد قال فيه: فرعوني أشد عليَّ من فرعون أخي موسى عليه .

وإذا كنت قد حرمت من نعمة الولد فإن إبراهيم لم يحصل على الولد إلا عند الثمانين عاماً ، وبعد أن أعطاه الله مناه أمره أن يأخذه وأمه ويجعلهم في صحراء جرداء لا زرع فيها ولا أنيس ولا ماء ، وبعد أن بلغ ريعان الشباب وأصبح يسر الناظرين أمره أن يذبحه حتى لا تبقى في قلبه شعبة لغير رب العالمين ، لكي لا ينشغل إلا بالله جل في علاه ، وهنا سر آخر من أسرار البلاء أن الله يريد من العبد ألا ينشغل إلا بمولاه فإذا مال القلب لأي ناحية من الأنحاء سلط الله عليه البلاء ليرجع إلى الله ويقول : يا رب ادفع عني هذا أو سهل لي هذا، فيرجع إلى الله فلا يرد العبد إلى مولاه إلا البلاء الذي يتعرض له في هذه الحياة .. لكن لو غطى بالنعيم:

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ (العلق)

وإذا كنت لم ترزق إلا بالبنات فإن نبي الله لوط لم يرزق إلا بالبنات ، وحبيبنا ﷺ لم يعش له من جملة أولاده إلا البنات ، وإن كنت تقول الدنيا ومشاغلها تشغلني عن طاعة الله فما عذرك الذي تقدمه إلى الله إن أقام عليك الحجة وقال لك : أيهما كان أشغل أنت أم النبي الملك سليمان على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم السلام ، الذي سخر الله له الريح .... وسخر الله له الجن .... وأتاه ملكا لم يأته أحداً من الأولين والآخرين !!!!، ومع ذلك لم ينشغل عن الله طرفة عين .

وإن كانت تحدثك نفسك أنك مشغول بالعبادة فلا يجب أن تسعى لتحصيل القوت وعلى الخلق أن يعينوك ويكفونك القوت ، فقل لها وهل بلغت في العبادة مبلغ داود .وقد قال في شأنه نبينا ﷺ:

{ ما أكل أحد طعاما قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود .كان يأكل من عمل يده } [44]

وإن زعمت أنك تيأس من رحمة الله لأنك لا تجد من يعينك في بلدتك على طاعة الله ولا تجد إخواناً فقد قال الله في شأن لوط: ﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (36الذاريات)، ومع ذلك لم ينشغل عن عبادة الله لحظة أو أقل.

44 صحيح البخارى ، عن المقدام رضى الله عنه .

وهكذا أقام الله الحجة على عباده أجمعين بالنبيين والمرســـلين ، ثم أقام الحجة في كل عصـــر بالأولياء والصـــالحين ، فإن الله نوع عليهم البلاء وأقامهم في أصـــناف الابتلاء ليكونوا حجة على الخلق في زمانهم حتى يكون لله الحجة البالغة .

ســتقول كيف أصــل إلى الله وأنا مشــغول بالســعي على الأرزاق .. يقول لك الكريم الخلاق: اعلم علم اليقين أن أكمل الأولياء في زمانك وفي عصـرك لا تشـغلهم المشـاغل الكونية رغم شـدتها وزحامها عن الصــلة بالله وعن دعوة الخلق إلى الله وعن القيام بمهام الرســالة التي كلفهم بها ســيدنا رسول الله ﷺ .. فما عذرك أيها المتواني وما قولك أيها القاعد والمتقاعد والمتكاسل؟!

وإن قلت إن ما معي من المال لا يكفي لدعوة الله والعيال يقول لك المولى عزَّ شـأنه :أتشـك في الرزاق وأنت ترى مدى إغداقه وإكرامه الذي يملأ به الصــالحين في زمانك وفي غير زمانك ، حتى أن الناس تحسبهم وجهاء وبعض الناس الجهلاء يحسبهم أغنياء من شـدة تعززهم بالله وولاية الله التي شملتهم في هذه الحياة .,

عليك أن تقبل على الله وانظر ماذا ســيصـــنع معك الله وهل رأيت مقبلا على الله تركه مولاه وتخلى عنه لسواه؟!

لا يكون ذلك أبداً وهو الذي يقول:

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (2الطلاق)

إذاً حجة الله على الخلق هم الأنبياء والمرسـلين السـابقين والأولياء والأفراد المعاصـرين في كل زمان ومكان ... هكذا حكم الله ولذلك طلب منا الحبيب أن نقرأ قصـص الأنبياء وقال في شـأنهم ربي ﷻ:(111يوسف)

﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

وكان الحبيب يقص عنهم ويخبر عنهم وكذلك الصـــالحون أمرونا أن نقرأ قصـــص الصـــالحين لنمشي على نهجهم ونسير على هديهم وقد قال الإمام الجنيد ﷺ في شأنهم:

"حكايات الصالحين جند من جند الله تقوى قلوب المريدين على السير إلى حضرة الله جل في علاه".

والشـيء الوحيد الذي يحفظ العبد من الافتتان ويوفقه للرضـا عن الله في كل وقت وآن : هو غرس الإيمان في صـدره ، وتثبيت جذوره في قلبه ، ولذلك فإننا نتسـائل لماذا أمرنا الله ﷻ أن نحتفي كل عام بالأعمال التي قام بها إبراهيم وزوجاته وإسماعيل؟....و يجيب الله على ذلك فيقول في كتابه: (111يوسف)

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾

دروس عظيمة ، ومن جملة هذه الدروس درس سار عليه خليل الله وكل أنبياء الله ورسـل الله ، هذا الدرس جعلهم في حياتهم الدنيا يعيشون حياة هانئة .. زوجات قانتات مطيعات وأبناء بررة كرام لا يحدث بينهم وبين زوجاتهم مشـكلات ولا بينهم وبين أبنائهم معضـلات ولا خلافات ولا منازعات .. ناهيك عن فضــــل الله العظيم وثوابه الكريم في الدنيا ويوم الدين، ما هذا الدرس الذي نريد أن نتعلمه أجمعين؟.... هذا الدرس يشـــير إليه الخليل إبراهيم ومن بعده اســـحق ويعقوب ومن وليهم وتبعهم من النبيين فيحكي عنهم الله قولهم: (132البقرة)

﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

الدرس الأول الذى يلقنونه لأبنائهم وزوجاتهم :..هو الإيمان بـــالله ﷻ، الثقة في الله وتفويض الأمور كلها لحضـــرة الله، والإعتماد في قضـــاء كل مصـــلحة وكل ملمة وكل أمر على حضـــرة الله، والاستعانة بتوفيق الله ومعونة وقوة الله على إنجاز أي أمر أو أي مهمة، وإذا جاءت مشكلة أو كارثة أو نكبة رفعوا الأمر إلى الله وفوضـوه لحضـرة الله فيدفع الله عنهم ببأسـه وقوته كل كرب وكل شـدة ذلكم هو ملخص قصة إبراهيم وزوجاته وأبنائه أجمعين.

أول درس يلقنه له قبل تعلم اللغات وقبل دراسـة الرياضـيات وقبل الجلوس أمام الكمبيوترات وقبل مشاهدة الشاشات والفضائيات:

- أن نحصن قلوبهم بتقوى الله.
- وأن نملأ صدورهم بمراقبة الله.
- وأن نعلمهم علم اليقين قول الله جل في علاه: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾ وبعد ذلك:﴿ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (7المجادلة)

فإذا استوعبوا هذا الدرس!!؟

فنم قرير العين فإن زوجك لن تعصـــى لك أمراً ، وإن ابنك لن يخالفك في طرفة عين أو أقل لأنهم معك في تقوى الله وطاعة الله حتى ولو أحاط بهم ألد الأعداء **!!!**، ووجهوا بأعتى الطغاة !!!! فإن الله يجعل لهم مخرجاً ببركة تقوى الله جل في علاه.

هذه زوجته ســـارة بعد أن أنجاها الله من فرعون أعطاها فرعون جارية تخدمها، وأعطاها من خيرات الله التي عنده ما تغني به وزوجها أبد الدهر!

ولما كانت لا تنجب قالت برضـــاء خاطر: يا إبراهيم تزوج بهاجر لعل الله يرزقك بولد منها يكون قرة عين لي ولك، فرزقه الله ﷻ منها الولد.

وإياك أن تصـــدق قول اليهود ومن عاونهم أنها غارت من هاجر وابنها، فقالت له إرميهما في الصـــحراء، لأنها لو كانت قد غارت من هاجر وابنها وطلبت منه أن يبعدهما عنها، وإبراهيم رجل عاقل حكيم لكان أبعدهما في بيت آخر في نفس البلدة أو أســـكنهما في بلدة قريبة فيها أناس يأتنسون بهم وفيها طعام وشراب وما يحتاجون إليه ..

لكن لماذا أخذهما إلى الصحراء التى ليس فيها زرع ولا ماء ولا أنيس ولا شيء؟!

ليعطينا الله ﷻ الدرس الأمثل في تعليم أنبياء الله فإن إبراهيم بمجرد أن تزوج هاجر كان أحرص ما يحرص عليه أن يلقنها درس الإيمان والثقة بالله جل في علاه قبل أن يقضي شهوته وقبل أن يقضي حاجته !!

كانت مهمته الأولى مع زوجته أن يحصنها بتقوى الله وصدق الإيمان في الله جل في علاه ....

ولذلك عندما تركها وابنها في هذا المكان ومشـــى دار هذا الحوار .قالت له: يا إبراهيم لمن تتركنا ها هنا؟.فلم يجبها!.فكررت السؤال مرتين ولم يجبها فقالت في الثالثة: ألله أمرك بهذا؟قال: نعم !.قالت: إذن لا يضيعنا!.وقد ورد:

{ ثمِ جاءَ بها إبراهيمُ .وبابْنِهَا إسماعيلَ .وهي تُرْضِعُهُ حتىِ وَضَعَهُمَا عندَ البيت، وليسِ بمكةَ يومئذٍ أَحَدٌ وليسَ بِهَا ماءٌ، فَوَضَعَهُمَا هنالكَ، وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَاباً فيهِ تَمْرٌ، وسقاءً فيهِ ماءٌ، ثم قَفَّى إبراهيمُ مُنْطَلِقاً، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إسمعيلَ وقالتْ: يا إبراهيمُ أينَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الوادِي الَّذي ليسَ فيهِ أَنِيسٌ ولا شيءٌ، قالتْ ذَلِكَ ثلاثَ مراتٍ، وَجَعَلَ لا يَلْتَفِتُ، فقالتْ لَهُ: آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا، قالَ: نعم، قالتْ: إذًا لا يُضَيِّعُنَا، ثم رَجَعَتْ وانْطَلَقَ إبراهيمُ } [45]

---

45 سنن الكبرى للبيهقي عن ابن عبا ﷺ

فلم تنازعه ... ولم تحاكمه ... ولم تشـاتمه ... ولم تقل له لائمة وهو حقها ... لم تتركنا في هذا المكان الذي لا زرع فيه ولا ماء فيه ولا أنيس فيه؟

لكنه علمها أن الله لا يضـيع أهل الإيمان بالله جل في علاه، ولذلك عندما نفذ زادها ونفذ ماؤها وجاع صـبيها واحتارت في رضـاعه ... أخذت تمشـي مهرولة بين الصـفا والمروة وهي مسـرعة تبحث له عن ماء ..!!

وأخيراً وجدت الطيور فوقه فخشيت عليه فأسرعت إليه فوجدت الماء قد نبع من تحت قدميه وجبريل أمين وحي السماء يقف بجواره يحرسه من طغيان الماء، لأن الماء فار ولو ترك الوليد لغرق في هذا الماء الذي خرج من هذه الأرض، فأخذت تزمه وتقول زمى زمى وقال لها الأمين جبريل: يا أمة الله لا تخشي الضيعة فإن الله ﷻ قيض لهذا الوليد وأبيه أن يبنيا بيتاً لله في هذا المكان ، وقد ورد فى الحديث :

{ يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ أَوْ قَالَ: لَوْ لَمْ تَغْتَرِفْ مِنْ الْمَاءِ لَكَانَتْ عَيْنًا مَعِينًا، قَالَ: فَشَـرِبَتْ وَأَرْضَـعَتْ وَلَدَهَا، فَقَالَ لَهَا الْمَلَكُ: لا تَخَافِي الضَّـيْعَةَ؛ فَإِنْ هَاهُنَا بَيْتُ اللَّهِ يَبْنِيهِ هَذَا الْغُلامُ وَأَبُوهُ، وَإِنَّ اللَّهَ لا يُضَيِّعُ أَهْلَهُ } [46]

فاطمأنت إلى صنع الله وعلمت أن الله عزَّ وجلَّ لا يضيع من اعتمد عليه في أي شأن وفي أي أمر مهما انقطعت الأسباب، لكن باب مسبب الأسباب يحل كل المشـاكل في الوقت والحين لأنه يرزق من يشاء بغير حساب.

ثم إن الغلام كان أول درس لقنه له أبوه هو الإيمان، هل يوافق ولد على أن يقوم أبوه بذبحه ويستسلم له ولا ينازعه؟..وهل يجرأ والد أن يشاور ولده في ذبحه؟

بل إنه إذا أراد ذبحه يأخذه على غرة وفجأة ولا يشـاوره لأنه يعلم مسـبقاً أنه لن يرضـى بهذا الصـنيع، لكن الأسـتاذ العظيم في الإيمان في الله يعلم أن تلميذه النجيب في درس الإيمان بالله سـيستسـلم معه لأمر الله فقال له كما قال كتاب الله: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰ ﴾ ... لو قال له إن الله أمرني بذبحك لكان هذا سهلاً على الغلام أن يصدق به ويستسلم له ولو قال إن وحي السـماء وأمير الوحي نزل بكتاب من الله يأمرني بذبحك لكان عليه أن يصـدق ويستسلم لأمر الله لكن البلاء شديد ..قال:

---

[46] سنن النسائي الكبرى عن ابن عباس

﴿ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ ﴾ (102الصافات)

ماذا قال الغلام الذي تعلم درس الإيمان ؟

﴿ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (102الصافات)

من الذي عرف الغلام أن ذلك أمر وأن رؤيا الأنبياء وحي وأنها أمر من الله ﷻ؟

ثم انقلب الولد وإذ به هو الذي يسـدي النصـيحة لأبيه ويخاف على أبيه من أن يتقاعس في تنفيذ أمر الله!!!

الولد الذي سـيذبح هو الذي يقول لأبيه يا أبت اشـحذ المدية يعني أحمِ السـكين جيداً! واربطني جيداً بالحبال! وكبني على وجهي حتى لا تنظر إلى وجهي فتأخذك الشـفقة في تنفيذ أمر الله ﷻ !

وانزع القميص عنى حتى لا يقع عليه الدم فتراه أمي فتحزن ..!! الولد الذي سـيذبح هو الذي ينصح الأب؟ نعم لا عجب لأنه الإيمان بالله جل في علاه.

الدرس الأول الذي علمه له أباه : هو درس الإيمان بالله وفي الله جل في علاه !

ولما أوثقه وكتفه بالحبال قال: يا أبت ماذا تقول عني الملائكة أتقول أنى خائف من تنفيذ أمر الله عز وجل؟

فك الحبال عني ولن يتحرك مني عضو ولن يضطرب مني عضو لأني سأستسلم لأمر الله جل في علاه!!!

فقد رأى أن الربط بالحبال يناقض التسليم الذي قال فيه المولى الكريم:

﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (الصافات)

فوضع إبراهيم السكين على رقبته ولم تقطع حتى أن الله ﷻ أمره أن يحدثها ... فقال لها: مالك يا سكين لا تقطعي عنق إسماعيل؟ فأنطقها الله وقالت له: وما للنار لم تحرق جسدك يا إبراهيم؟

وهنا نزلت العناية الإلهية وفداه الله بذبح عظيم:

كبش نزل من الجنة!!![47]

وهل الجنة فيها مراعي ترعى فيها الكباش ؟ إن الجنة يقول فيها الحبيب:

{فيها مَا لا عَيْنٌ رأَتْ ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ } [48]

والكبش تراه العين لكنه هو الكبش الذي قدمه هابيل عندما حدث خلاف بينه وبين أخيه قابيل:

وكان هابيل يرعى الأغنام فقدم كبشـــاً سميناً وكان قابيل يشـــتغل بالزراعة فقدم زرعاً رديئاً، فنزلت سحابة من السماء أخذت الكبش وصعدت به إلى السماء وأودعته في الجنة وظل في الجنة حتى نزل فداءاً لإسماعيل على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

كان هذا المنهج النبوي هو الذي عليه الحبيب وصحبه الكرام :

فكانت زوجاتهم وبناتهم وأبناؤهم كلهم على تقوى من الله عزَّ وجلَّ ...

{ كان الرجل إذا خرج من منزله تقول له امرأته أو ابنته: إياك وكســـب الحرام فإنا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار. وهمَّ رجل من السلف بالسفر فكره جيرانه سـفره، فقالوا لزوجته: لم ترضـين بسـفره ولم يدع لك نفقة؟ فقالت: زوجي منذ عرفته عرفته أكّالاً وما عرفته رزاقاً، ولي رب رزاق. يذهب الأكال ويبقى الرزاق } [49]

وكان الرجل يمشي على الأرض ليس عليه شاهد إلا خالق السموات والأرض ويستحي من الله أن يراه الله ﷻ واقعاً في معصية تغضب الله جل في علاه !!!

فكانت المدينة المنورة في حياة آمنة مطمئنة هانئة لا يوجد فيها مشـــاكل ولا منازعات ولا خلافات بين الأفراد ولا بين الأسر ولا بين العائلات لأن قلوبهم كانت عامرة بالإيمان بالله.

ذهب سيدنا أنس بن مالك ﷺ في جولة تفقدية إلى البصرة ليرى فيها أحوال المسلمين فوجد الغش في الأسـواق والفسـاد في المعاملات ومثل هذه الأشـياء وقد امتلأ بها هذا المجتمع فذهب إلى المسـاجد فوجدها عامرة بالمصـلين ونظر إلى الكتاتيب فوجدها مليئة بالصـبيان الذين يحفظون كتاب الله عن ظهر قلب فاختبرهم فوجدهم مع شـــدة حفظهم لكتاب الله يكذبون وينافقون ولا يتورعون فقال ﷺ:

---

47 ورد ذلك فى الكثير من الآثار وكتب التفسير
48 مسند بن حنبل و المستدرك عن ابن سعد .
49 إحياء علوم الدين

{ كنا نتعلم الإيمان قبل القرآن وأنتم تتعلمون القرآن قبل الإيمان }

كانوا يتعلمون الإيمان أولاً.. ولذا كان سـيدنا جندب بن عبد الله وعبد الله بن عمر وغيرهما يقولون:

{ تعلّمنا الإيمان ثم تعلّمنا القرآن فازددنا إيماناً، وأنتم تتعلمون القرآن ثم تتعلمون الإيمان } [50]

فإذا تعلموا القرآن راقبوا حضرة الرحمن ﷻ !

ونحن والحمد لله القرآن في كل ربوع بلادنا يتلى!!

وما أكثر حفاظه وما أكثر التالين له والقارئين له والمساجد عامرة!!!!

لكننا نحتاج لكي نرتاح في بيوتنا ونطمئن على أولادنا ولا يحدث ما يفسـد العلاقات التي بيننا وبين زوجاتنا أو بيننا وبين إخواننا إلى أن نوثق الصلة التى في قلوبنا بالله جل في علاه ... !!!

فهذا هو العلاج الوحيد لما تفشـى في مجتمعنا من أمراض أخلاقية وأحوال نفاقية وأمور استعصت على الحل بالقرارات الوزارية والقوانين الدستورية فإنه لا يصلحها إلا تعلق القلوب بعلام الغيوب ﷻ.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

50 مجموع فتاوى ابن تيمية



الفصل الخامس:–

الإمامة أو دعوة الخلق إلى الله ﷻ

سر إختيار الله للأئمة

حكمة الإبتلاء للأنبياء


ابتلاء نبى الله إبراهيم
الإمامة والإقتداء
كفاية الله للأتقياء

الفصل الخامس

الإمامة أو دعوة الخلق إلي الله ﷻ

سر إختيار الله للأئمة

الدرس الجليل فى هدى الخليل ... ذكره لنا الرب العظيم ﷻ فى محكم التنزيل...:

أن أى إمام يريده الله ﷻ أن ينشـر دعوة الله لخلق الله، وأى رجل يجتبيه الله ويصـطفيه ويحبوه ويمنحه ويعطيه، ويأمره بتبليغ دعوته إلى خلق الله حوله لابد أن يمر بهذه الأطوار التى ذكرها لنا العزيز الغفار ﷻ، حتى يجعله الله إماماً، قال فى شأنه:

﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ بعد أن ابتلاه الله بالكلمات وأتمهن: ﴿ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ (124 البقرة).

فالإجتباء والإصطفاء لا يكون إلا بعد الإختبار والإبتلاء، قال ﷺ:

{ إِذَا أَحَبَّ الله عَبْدا ابْتَلاَهُ ، فَإِنْ صَبَرَ اجْتَبَاهُ، وَإِنْ رَضِيَ اصْطَفَاهُ }[51]

على قدر مقامه فى قبوله لإبتلاء الله يكون مقامه فى القرب من حضـــرة الله، فإذا تحلى بحلل الصابرين فله الإجتباء:

﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ ﴾ (78 الحج)

وإذا تحلى بحلل الرضـا، والرضـا أعلى من الصـبر! لأن الصـابر قد يصـبر على مضـض لكن الراضـى ليس فى قلبه لا مضـضٌ ولا مرض !! فيرضـى عن الله فى كل أفعاله ويرضـى عن الله فى كل أحواله ، فهذا له مقام الإصطفاء(75 الحج).:

﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾

هذه السـنة الإلهية جعلها الله مع المرسـلين والنبيين وجعلها أيضـاً مع الصـالحين إلى يوم الدين فقال فى شأنهم:

---

51 فى الأثر المرفوع فى(منازل السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين)، وفى لباب الحديث بزيادة (بِبَلاَءٍ لاَ دَوَاءَ لَهُ)، وفى تفسير حقى وتفسير تنوير الأذهان لإسماعيل البروسوى.

﴿ وجعلنا منهم أيمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بءايتنا يوقنون ﴾ (24السجدة)

صبروا على ماذا؟

صبروا على البلاء الذى يطهر الله ﷻ به القلوب.

وكلمة البلاء أول ما نسمعها يأتى لنا فى أذهاننا المفهوم العام عنها أى الإمتحان أو الإختبار وهذا بيننا معشر البشر !!، لكننا لا يجب أن نقيس كلام الله على كلام البشر، إذ أن كلام الله له فحواه ومغزاه ومعناه الذى لا يعقله ولا يعلمه إلا من علَّمه الله، فإذا سمعت قول الله مثلاً:

﴿ ويمكرون ﴾ فهذا مكر البشر !، ﴿ ويمكر الله ﴾ .. إياك أن تجعل مكر الله كمكر البشر، قياس الغائب بالشاهد قياس فاسد لا ينبغى مع حضرة الربوبية، لكن مكر الله هنا أى تدبير الله أى التدبير الإلهى، لكنه لأنه يخاطب البشر! فخاطبهم على شاكلتهم، لكن ليس معنى ذلك أن الله ﷻ له مكر كمكر البشر، دهاء وحيل وكيد فهذا لا يليق بحضرة الربوبية.

فإذا سمعت: ﴿ وإذ ابتلى إبراهم ربه بكلمت ﴾ أول ما ينصرف الذهن أن البلاء هو الإنتقام أو الإختبار أو الإمتحان!!

لا !! فالبلاء بالنسبة للأنبياء تطهير القلب وصفاء السر والسريرة لمن بيده مقاليد السموات والارض، قال داوود عليه السلام:

{ الهي أمرتني أن أطهر قلبي فبماذا أطهر؟ قال: ياداود بالهموم والغموم }[52]

فلا يطهر القلب إلا الهموم!، لأن الذى يجمع حقائق الإنسان على الله هو الهمُّ، فعندما ينتاب الإنسان همٌ أو غمٌ .. يتوجه بالكلية إلى الحضرة الإلهية !!، فإذا توجه بالكلية إلى الحضرة الإلهية !! فإن ذلك يجمع تجاويف القلب! ويطهره من المشاغل والشواغل.. ويطهره مما نقول فيه معشر الصالحين من الأغيار وهى أى شيء غير الله ، فأى شيء غير الله فى قلب العبد لا يرضاه الله! لأن الله يريد القلوب خالصة لحضرته..، والخلق لهم الأجساد .. ولهم النفوس .. ولهم الظاهر!!

أما الباطن فلا يكون إلا لله ﷻ.

52 روح البيان، وتفسير حقى، وتنوير الأذهان لإسماعيل البروسوى.

حكمة الإبتلاء للأنبياء

إذاً الإبتلاء لتطهير القلوب، وصفاء السرائر حتى تستنير البصائر، وحتى يصير العبد وهو إلى ربه سائر .. يكون فيه قول مولاه:

﴿ وكذَٰلكَ نُرِيٓ إبرٰهيمَ ملكوتَ السمٰوٰتِ والأرضِ وليكونَ من الموقنين ﴾

(75الأنعام).

أى أن هذه هى تربية الله لكل الموقنين، فالموقنون كثيرون ومن جملتهم أبونا إبراهيم، ولذلك ورد فى الأثر:

{ لا تخلو الأرض إلاَّ وفيها أربعة عشر - وقيل أربعون على قدم الخليل إبراهيم - يدفع الله بهم عن أهل الأرض ويخرج بركتها إلاَّ زمان إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فإنه كان وحده }[53]

لا يخلو زمان من أربعين رجلاً أو أربعة عشرة على الأقل على قدم إبراهيم في خلته لله جل فى علاه... والكلمات قد تكون كلمات قَدَرِية فإن الله ﷻ يخلق بكلمة:

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُۥ إِذَا أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (82يس) وكن فيكون ليس حرفين .. فما بين الكاف والنون يقضى الله شئون ويخفى شئون:

بـين نَفَـس ونَفَـس شــئـون   تـتـجلـى حـتـى تـراهـا الـعيـون

فهذا أيضـاً تقريب للأذهان لأن الله لا يتكلم بلسـان وشـفتين، وإنما الحق ﷻ له مقاليد السموات والأرض.

وقد تكون الكلمات أوامر ونواهى وتشـريعات شـرعها الله ﷻ على الأنبياء والمرسـلين !! وأمرهم بالقيام بها ليتحقق لهم تمام الإصطفاء عند رب العالمين ﷻ.

53 عن شهر بن حوشب، عمدة القاري

ما خصَّ الله ﷻ به نبى الله إبراهيم خاض فيه المفســرون والمؤولون على قدرهم، وعلى قدر ما وصـل إليه علمهم، واسـتندوا فى أقاويلهم إلى ما ورد إليهم من أصـحاب النبى الأمين فى تأويل كلام رب العالمين ﷻ:(7آل عمران)

﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ ﴾

يُعلِّمهم الله فيقولون عن تأويل من الله جل فى علاه، فاســـتند جلّ المفســـرين إلى ما ورد عن ســـيدنا عبدالله بن عباس رضـــى الله عنهما أن الكلمات التى ابتلى الله ﷻ بها إبراهيم هى خصـــال الفطرة التى أمره الله بها ليطهر ذاته وكانت فريضة عليه وسنة عندنا:

{فهى خمس فى الرأس وخمس فى جميع البدن، أما التى فى الرأس فالمضمضة والإستنشاق وفرق الرأس وحف الشارب والسواك، وأما التى فى بقية البدن فالختان والإستنجاء من البول والغائط وحلق العانة وتقليم الأظافر ونتف الإبط}[54]

هذا قول عن سيدنا عبدالله بن عباس ولا بأس به.

وهذه سنن سنها لنا رسول الله ﷺ وأمرنا بها والأمر فيها عام لجميع الأنام.

وسيدنا عبدالله بن عباس نفسه جلس مع قوم أعلى فى الفهم وأرقى فى الذوق فذكر لهم حقيقة أخرى فى هذه الكلمات وقال لهم:

{ الإسلام ثلاثون سهماً وما ابتلي بهذا الدين أحد فأقامه إلا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، قال الله تعالى: {وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى}، فكتب الله له براءة من النار }[55]

وتفصيلها عشرٌ فى سورة التوبة فى قوله تعالى (آية 112):

﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾

54 وردت خصال الفطرة فى أحاديث عدة منها حديث عائشة الذى أخرجه مسلم فى كتاب الطهارة ويجمع العشر خصال.
55 عن عكرمة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما فى المستدرك على الصحيحين

وعشر فى أول سورة المؤمنون:

﴿ قد أفلح المؤمنون ۝١ الذين هم فى صلاتهم خشعون ۝٢ والذين هم عن اللغو معرضون ۝٣ والذين هم للزكوة فعلون ۝٤ والذين هم لفروجهم حفظون ۝٥ إلا على أزوٰجهم أو ما ملكت أيمنهم فإنهم غير ملومين ۝٦ فمن ابتغى وراء ذٰلك فأولئك هم العادون ۝٧ والذين هم لأمنتهم وعهدهم رٰعون ۝٨ والذين هم على صلوٰتهم يحافظون ۝٩ أولئك هم الوٰرثون ۝١٠ الذين يرثون الفردوس هم فيها خلدون ﴾

وعشر فى سورة الأحزاب (آية **35**):

﴿ إن المسلمين والمسلمت والمؤمنين والمؤمنت والقنتين والقنتت والصدقين والصدقت والصبرين والصبرٰت والخشعين والخشعت والمتصدقين والمتصدقت والصئمين والصئمت والحفظين فروجهم والحفظت والذٰكرين الله كثيرا والذٰكرٰت أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾

هؤلاء الثلاثون هم أسهم الإسلام وشرائع الإسلام.

ولابد للإنسان ليكون إماماً عند الله أن يتحقق بهؤلاء الثلاثين أى يقوم بالعمل بهن كما ينبغى، من يستطيع ذلك؟

وقال بعض الصالحين إن هذه الكلمات أوحى الله لإبراهيم فيها:

{ أنك لما سلمت مالك للضيفان. وولدك للقربان. ونفسك للنيران، وقلبك للرحمن. اتخذناك خليلاً }[56]

56 على روايات متعددة، رواه أبو الحسن المسعودي في كتاب أخبار الزمان، و"سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر"، و فى "خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر".

أى أن الله ابتلاه:

- **فى جسده بالنار بأن ألقى في نار عظيمة.**
- **وابتلاه فى ماله بالضـيفان فكان لا يأكل حتى يجد ضـيفاَ، وكلما يأتيه ضـيف يأتى بعجل حنيذ ...**
-
- **وابتلاه فى ولـده بأن أمره بـذبحه:** ﴿ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴾ (الصافات102)
- **وابتلاه فى قلبه ألا يكون فيه موضـــع لغيره ﷻ ففاز بالمقام حتى قال فيه الله مهنأه بهذا المقام:**﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴾ (النجم37) **أى وفّ بذلك.**

وقال البعض وأنا أميل إلى ذلك:

﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ (124 البقرة)

الإمامة نفسها هى الإبتلاء!!

هل هناك إبتلاء أو بلاء أكثر من إمامة الخلق؟!

لا يعرف الشـــوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها

فالإمامة هى البلاء الأعظم.

لأن من أقامه الله هذا المقام لا يستطيع أن يتحرك حركة كبيرة أو صغيرة فى نفسه أو فى ماله أو فى أى شيء له أو حوله إلا بإذن ممن يقول للشيء كن فيكون، لا يستطيع أن يعتذر عن أمر كلفه به الله ﷻ:

﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ (36المرسلات).

ولا يستطيع أن يتكاسل أو يتباطئ أو يتوانى لأنه قدوة والخلق يقتدون به فلابد أن يكون أكملهم وأعظمهم وأقومهم فى القيام بأمر الله جل وعلا.

كان رسول الله ﷺ وهو إمام الأئمة وقد غفر الله وقال له: ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ (2الفتح)

ومع ذلك كان يصوم صيام الوصال وكان يقوم الليل كله على قدم واحدة يتذلل ويتضرع لحضرة الله وتقول له زوجته الطاهرة الوفية السيدة عائشة: يا رسول الله ألم يغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فيقول ﷺ:

{ يا عائِشَةُ أَفَلا أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً }[57]

57 صحيح مسلم ومسند الإمام أحمد

وكان لا يقوم إلا على ذكر ولا يدخل إلا على ذكر ولا يجلس إلا على ذكر وإذا نام تنام عيناه وقلبه لا ينام ويأبى إلا أن يشـارك إخوانه فى أى عمل، فإذا أمرهم ببناء المسـجد كان يقوم بنفسـه بحمل الطوب معهم، فيقولون: ... يا رسول الله إنا نكفيك هذا العمل، فيرفض، فيقولون[58]:

لئن قعدنا والنبى يعمل   لذاك منا العمل المضلل

كيف يتقاعدون ويتكاسـلون والرسـول أمامهم يعمل؟! وإذا سـافر يوزعون العمل فيختار الأشق:

{ وكان ﷺ في سفر فأمر بإصلاح شاةٍ فقال رجل يا رسول الله عليَّ ذبحها وقال آخر عليَّ سلخها وقال آخر عليَّ طبخها فقال رسول الله ﷺ، وعليّ جمع الحطب، فقالوا يا رسول الله نحن نكفيك فقال : قد علمتُ أنكم تكفونني ولكني أكره أن أتميّز عليكم فإن الله يكره من عبده أن يراه متميّزاً بين أصحابه» وقام فجمع الحطب، وكان في سفر فنزل إلى الصلاة ثمّ كرّ راجعاً فقيل يا رسول الله أين تريد فقال: أعقل ناقتي، فقالوا نحن نعقلها قال: لا يستعِنْ أحدكم بالناس ولو في قُضْمة من سواكٍ } [59]

أرأيتم مشقة الإمامة – حتى فى أشق اللحظات عندما كان يعانى من سكرات الموت ربط رأسه بعصابة وقام مستنداً على العباس وعليّ عندما سمع آذان الصلاة ، لماذا ؟ لأنه علمهم أنه:

{ لاَ خَيْرَ فِي دِينٍ لاَ رُكُوعَ فِيهِ }[60] – (أى صلاة).

هذه هى الإمامة، ما معنى الإمامة؟ أن يكون هو أول الناس قياماً بأمر الله ليكون قدوة لمن خلفه يقتدون بفعاله قبل أقواله، ولذلك كان ﷺ يأمر باليسر وبالأخف!! ويأخذ نفسه بالأشد !!

فكان أصحابه الحكماء الفقهاء العلماء الذين كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء يقتدون بهديه قبل أن يعملون بقوله لأنه يأمر باليسـر ويأخذ نفسـه بالأشـد فكانوا يقتدون بفعاله، تلكم هى المسئولية، وكما سبق بالحديث:

---

58 فتح البارى فى شرح صحيح البخارى ، وطبقات الشافعية الكبرى
59 الوافي بالوفيات، لصلاح الدين الصفدى.
60 عن عثمان بن أبى العاص، المسند الجامع

{ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُم مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه }[61]

﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ (124 البقرة)

الإمامة .... إذا كانت إمامة الصلاة ؟

تحتاج إلى أن يكون المرء الذى يؤم المصـــلين أفقههم فى دين الله وأقرؤهم لكتاب الله وأرعاهم لحدود الله!!!

فما بالكم بإمامة الخلق فى الدعوة إلى الله؟

فهذه تحتاج إلى أن يكون المرء شــديد الحذر، شــديد الورع، شــديد الأخذ بدين الله، شــديد التمسك بحبيب الله ومصطفاه فى كل أنفاسه، فلا يتحرك حركة! ولا يسكن سكنة ! إلا إذا قاسها بما ورد عن حبيب الله ومصـــطفاه، ولا ينطق بكلمة إلا إذا وزنها! لأنه يؤخذ منه بالكلمة، كلمته ميزان !!يزن بها الناس أحوالهم وأعمالهم وأفعالهم:

﴿ وأنَّ هـذا صِرٰطى مُستقيمًا فاتَّبعُوهُ ﴾ (153 الأنعام)

فانظر لم يقل الله ﷻ فسيروا عليه! ولكن (فاتَّبعُوه) !.. إذاً الصراط المستقيم فى الآية مَن؟

رسول الله ﷺ ..!!

فقد وصل فى دقته فى العمل بأوامر الله إلى أنه صار كالصراط المستقيم ... والذى ذكر ذلك هو مولاه جل فى علاه، وصـــل فى دقته فى مراعاة حدود الله وتطبيق أوامر الله إلى أن قال لنا فيه الله (7الحشر):

﴿ وما ءاتىٰكمُ الرسولُ فخذُوهُ وما نهىٰكم عنهُ فانتهوا ﴾

﴿ وما ينطِقُ عنِ الهوىٰ إنْ هوَ إلا وحىٌ يوحىٰ ﴾ (3،4النجم)

61 صحيح البخاري عن عبدالله بن عمر ﷺ.

لو كان الابتلاء سخطاً وغضباً من الله كما تصور بعض المسلمين لما ابتلى الله ﷻ رسله وأنبيائه أجمعين لكنه كما قال في شأنه سيد الأولين والآخرين ﷺ: عندم سأله أحد أصحابه الأجلاء قائلاً: { يا رسولَ اللَّهِ، مَنْ أشدُّ الناسِ بَلاءً؟ قالَ: الأنبياءُ، ثم الأَمْثَلُ فالأمثلُ }[62]

ومن هنا كانت قصة الابتلاء لإبراهيم عليه السلام لزيادة الإيمان وقوة الإسلام لعباد الرحمن ﷻ.

وهذا أول دليل جعله الله ﷻ لكل مؤمن وثق في الله وتوكل على مولاه ولم يفوض أمره إلا إلى الله ﷻ.

فهذا رجل من أصحاب رسول الله ﷺ هو سيدنا أبو مسلم الخولاني [63]أرسله رسول الله ﷺ إلى الأسود العنسي –رجل أدعى النبوة وزعم أنه ينزل عليه القرآن في زمن رسول الله ﷺ – فذهب إليه .... فقال له بعد أن سمعه أتؤمن أني نبي الله؟ قال: لا أسمع. قال: أتؤمن أن محمداً رسول الله؟ قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فكررها عليه عدة مرات وكلما قال له أتؤمن بي؟ قال: لا أسمع. فإذا قال له أتؤمن بمحمد رسول الله؟ ... كرر الشهادتين .....

فجمع له الحطب وألقوه في النار!! ولكنه بفضل الله حدث له ما حدث مع إبراهيم الخليل فقد خرج من النار ولم تضره بشئ ولم تحرق إلا حباله حتى ثيابه لم تحرقها النار فقال له قومه – قوم الأسود –: إن أبقيت هذا الرجل بين ظهرانينا فتن به قومك فأخرجه من هنا، فخرج إلى المدينة وكان رسول الله ﷺ قد لحق بالرفيق الأعلى لكنه كان قد أنبأ اصحابه بذلك فخرج سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر لاستقباله وأحاطوا به واعتنقوه، وأجلسه أبو بكر بينه وبين عمر فى مجلسه ﷺ، وقبله سيدنا عمر بين عينيه وقال :

---

62 الحاكم في المستدرك وابن حبان في صحيحه والبيهقي في سننه عن سعد وفاطمة وأبي سعيد.

63 ذُؤيْبُ بن كُلَيْب بن رَبيعة الخَوْلانِي. كان أول من أسلم من اليمن، فسماه النبي عبد الله. وكان الأسود العنسي الكذاب قد ألقاه في النار لتصديقه النبي ﷺ، فلم تضره النار. ذكر ذلك النبي لأصحابه. وهو شبيه إبراهيم الخليل، رواه ابن وهب، عن ابن لهيعة، أخرجه أبو عمر وأبو موسى ذكر إسلامه وما أبلاه الله في حديث مرسل وقال: لا نعلم له رؤية، رواه ابن لهيعة: أسد الغابة في معرفة الصحابة

{ الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أرى فى أمة محمد من فعل به كما فعل بإبراهيم الخليل }.[64]

فكل مؤمن يذكر الله ويتوكل على مولاه فله نصـــيب وافر من معونة الله وتوفيق الله في كل أمر ينتابه في هذه الحياة لأن الله قال في كتابه عز شأنه:

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ ﴾ (الطلاق2،3)

أي كافيه ... يكفيه كل هم وكل عناء وكل بلاء.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(انتهى بحمد الله وحسن توفيقه)

---

64 البداية والنهاية.

نبذة عن المؤلف فضيلة الشيخ فوزي محمد أبوزيد



۞ نبذة:

ولد فضيلته في الثامن عشر من أكتوبر **1948**م، الموافق للخامس عشر من ذى الحجة **1367**هـ بالجميزة، مركز السنطة، غربية، ج م ع، وحصل على ليسانس كلية دار العلوم من جامعة القاهرة **1970**م، ثم عمل بسلك التربية والتعليم حتى وصل إلى منصب مدير عام بمديرية طنطا التعليمية، وتقاعد سنة **2009**م.

۞ النشاط:

يعمل رئيسا للجمعية العامة للدعوة إلى الله بجمهورية مصر العربية، والمشهرة برقم **224** ومقرها الرئيسى **114** شارع **105** المعادى بالقاهرة، ولها فروع في جميع أنحاء الجمهورية.، كما يتجول بمصر والدول العربية والإسلامية لنشر الدعوة الإسلامية، وإحياء المُثل والأخلاق الإيمانية؛ بالحكمة والموعظة الحسنة. هذا بالإضافة إلى الكتابات الهادفة لإعادة مجد الإسلام، من التسجيلات الصوتية الكثيرة والوسائط المتعددة للمحاضرات والدروس واللقاءات على الشرائط والأقراص المدمجة.

وأيضا من خلال موقعه المتكامل على شبكة الإنترنت **www.Fawzyabuzeid.com** وهو أحد أكبر المواقع الإسلامية بعد نسخته الثالثة وجارى إضافة تراث الشيخ العلمى الكامل لأكثر من خمسة وثلاثين عام، و للموقع واجهة باللغة الإنجليزية وجارى الإضافات والرفع والترجمة.

۞دعوته:

1- يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات، والعمل على جمع الصف الإسلامى، وإحياء روح الإخوة الإسلامية، والتخلص من الأحقاد والأحساد والأثرة والأنانية وغيرها من أمراض النفس.

2- يحرص على تربية أحبابه بالتربية الروحية الصافية بعد تهذيب نفوسهم وتصفية قلوبهم.

3- يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين، وإحياء التصوف السلوكى المبنى على القرآن والسنة وعمل الصحابة الكرام.

۞ هدفه :

إعادة المجد الإسلامى ببعث الروح الإيمانية، ونشر الأخلاق الإسلامية، وبترسيخ المبادئ القرآنية.

۞ قائمة المؤلفات

:93 كتاب في ست سلاسل

أولا : سلسلة من أعلام الصوفية : 5 كتب:

(**1**) الإمام أبو العزائم المجدد الصوفى(**2**ط)، (**3**) الشيخ محمد على سلامه سيرة وسريرة، (**41**) المربى الربانى السيد أحمد البدوى، (**45**) شيخ الإسلام السيد إبراهيم الدسوقى (**2**ط)،(**59**) الشيخ الكامل السيد أبو الحسن الشاذلى.

ثانيا : سلسلة الدين والحياة :27 كتاب:

(**2**) زاد الحاج والمعتمر (**2**ط)، (**4**) نفحات من نور القرآن ج**1**،(**5**) مائدة المسلم بين الدين و العلم (**2**ط))(ترجم إندونيسى وإنجليزى)، (**8**) مفاتح الفرج (**12**ط) (ترجم إنجليزى وأندونيسى)، (**9**) تربية القرآن لجيل الإيمان (**2**ط) (ترجم إنجليزى)، (**14**) نفحات من نور القرآن ج**2**، (**24**) فتاوى جامعة للشباب،(**26**) إصلاح الأفراد والمجتمعات فى الإسلام (**2**ط)، (**27**) نور الجواب على أسئلة الشباب، (**34**) كيف يحبُّك الله (**3**ط) (مترجم إنجليزى)،(**39**) كونوا قرآنا يمشى بين الناس (**2**ط)(مترجم إنجليزى)، (**43**) المؤمنات القانتات، (**44**) فتاوى جامعة للنساء(**2**ط)، (**50**) قضايا الشباب المعاصر،(**67**) بنو إسرائيل ووعد الآخرة، (**71**) الصيام شريعة وحقيقة، (**72**) إكرام الله للأموات، (**73**) جامع الأذكار والأوراد، (**74**) الحب والجنس فى الإسلام، (**75**) أمراض الأمة وبصيرة النبوة، (**76**) فتاوى فورية ج**1**، (**80**) فتاوى فورية ج**2**، (**81**) سؤالات غير المسلمين، (**82**) حوارات الإنسان المعاصر، (**84**) فتاوى فورية ج**3**،(**86**) فتاوى فورية ج**4**.(**92**) فقه الجواب (إجابة أسئلة موقع الشيخ).

ثالثاً: سلسلة الخطب الإلهامية: المناسبات: 7 كتب:

(**16**) المولد النبوى، (**17**) شهر رجب والإسراء والمعراج,(**18**) شهر شعبان و ليلة الغفران، (**19**) شهر رمضان و عيد الفطر، (**20**) الحج و عيد الأضحى، (**21**) الهجرة ويوم عاشوراء،(**55**) الخطب الإلهامية مجلد: المناسبات الدينية (**3**ط).

المجلد الثانى : الخطب الإلهامية العصرية : 1 كتاب

(**78**) الأشفية النبوية للعصر.

ثالثا :سلسلة الحقيقة المحمدية: 12 كتاب:

(**7**) حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق (**3**ط)،(**13**) إشراقات الإسراء ج**1**(**2**ط)، (**22**) الكمالات المحمدية (**2**ط)، (**23**) الرحمة المهداة، (**33**) واجب المسلمين المعاصرين نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم (**2**ط) (ترجم للإنجليزية)، (**35**) إشراقات الإسراء ج**2**، (**61**) السراج المنير، (**70**) ثانى اثنين، (**85**) الجمال المحمدى ظاهره وباطنه.(**87**) تجليات المعراج، (**90**) شرف شهر شعبان، (**91**) الآداب القرآنية مع خير البرية ﷺ.

رابعا : سلسلة الطريق إلى الله: 15 كتاب:

(6) طريق الصـــديقين إلى رضـــوان رب العالمين (2ط)(ترجم للأندونســـية)،(15) أذكار الأبرار، (25) طريق المحبوبين وأذواقهم، (28) المجاهدة للصــفاء و المشــاهدة (2ط)، (30) علامات التوفيق لأهل التحقيق، (31) رسالة الصالحين، (32) مراقى الصالحين، (52) كيف تكون داعياً على بصيرة، (56) نيل التهانى بالورد القرآنى، (57) تحفة المحبين ومنحة المســترشــدين فيما يطلب فى يوم عاشــوراء للقاوقجى (تحقيق)، (60) نوافل المقربين، (64) أحســن القول، (79) دعوة الشــباب العصــرية للإســلام.(88) مجالس تزكية النفوس ج1، (89) مجالس تزكية النفوس ج2,

خامسا: سلسلة دراسات صوفية معاصرة: 16 كتاب

(10) الصــوفية و الحياة المعاصــرة، (11) الصــفاء والأصــفياء، (12) أبواب القرب ومنازل التقريب، (29) الصوفية فى القرآن والسنة (3ط) (ترجم للإنجليزية ومنشور على الموقع)، (36) المنهج الصوفى والحياة العصرية، (42) الولاية والأولياء،(49) موازين الصــادقين، (51) الفتح العرفانى، (53) النفس وصــفها وتزكيتها، (58) ســياحة العارفين، (63) منهاج الواصــلين، (65) نســمات القرب، (68) العطايا الصــمدانية للأصــفياء، (69) الأجوبة الربانية في الأسئلة الصوفية،(77) شراب أهل الوصل، (83) مقامات المقربين.

سادساً: سلسلة شفاء الصدور: عدد 10 كتب:

(37) مختصـــر مفــاتح الفرج (5ط)، (38) أذكــار الأبرار (صـــغير)(3ط)، (40) أوراد الأخيــار (تخريج وشرح)(2ط)، (46) علاج الرزاق لعلل الأرزاق. (2ط)، (47) بشائر المؤمن عند الموت (3ط)، (48) أسرار العبد الصــالح وموســى عليه السلام(2ط)،(54) مختصــر زاد الحاج والمعتمر. (63) بشــريات المؤمن في الآخرة.(66) بشائر الفضل الإلهي، (93) أسرار خلة إبراهيم عليه السلام

أين تجد مؤلفات فضيلة الشيخ فوزى محمد أبوزيد

إسم المكتبة	رقم الهاتف	القاهـرة
مكتبة المجلد العربي	25912524	116 شارع جوهر القائد الأزهر
مكتبة الجندي	25901518	سوق أم الغلام ميدان الحسين
دار المقطم	27958215	52 شارع الشيخ ريحان،عابدين
مكتبة جوامع الكلم	25898029	17 الشيخ صالح الجعفرى الدراسة
مكتبة التوفيقية	25904175	1 عمارة الأوقاف بالحسين
بازار أنوار الحسين	01227475931	2 زقاق السويلم خلف مسجد الحسين
مكتبة العزيزية	25915224	11 ميدان حسن العدوى بالحسين
الفنون الجميلة	25900786	130 شارع جوهر القائد بالدراسة
مكتبة الحسينية	25902541	22 شارع المشهد الحسينى بالحسين
مكتبة القلعة	25108109	1 شارع محمد عبه خلف الأزهر
مكتبة نفيسة العلم	25104441	9 ميدان السيدة نفيسة .
المكتب المصري الحديث	23934127	عمارة اللواء 2 شارع شريف
الأديب كامل كيلانى	23961459	28 شارع البستان بباب اللوق
مكتبة دار الإنسان	33350033	109 شارع التحرير، ميدان الدقي
مكتبة مدبولى	25756421	6 ميدان طلعت حرب
مدبولى مدينة نصر	24015602	طيبة 2000، شارع النصر مدينة نصر
النهضة المصرية	23910994	9 شارع عدلى جوار السنترال
هلا للنشر والتوزيع	33449139	6 ش د. حجازي، خلف نادي الترسانة
المكتبة الأزهرية للتراث	01005042797	درب الأتراك، خلف الجامع الأزهر
مكتبة أم القرى	25898253	128 شارع جوهر القائد الأزهر
المكتبة الأدبية الحديثة	25934882	9 شارع الصنادقية بالأزهر
مكتبة الروضة الشريفة	26444699	21شارع د.أحمد أمين، مصر الجديدة
		الإسـكندرية
كشك سونا	01224609082	محطة الرمل، أمام مطعم جاد
الكتاب الإسلامى الثقافى	01001232698	محطة الرمل، صفية زغلول
كشك محمد سعيد موسى	01114114300	66 شارع النبى دانيال، محطة مصر
مكتبة الصياد	03-3928549	4 ش النبى دانيال، محطة مصر
مكتبة سيبويه	03-5462539	23 المشيرأحمد إسماعيل، سيدى جابر
الكشك الأبيض	01288343555	محطة الرمل- أ/ أحمد الأبيض

		الأقــاليم
كشك عبد الحافظ	محمد -------	الزقازيق- بجوار مدرسة عبد العزيز على
مكتبة عبادة	055-2326020	الزقازيق – شارع نور الدين
مكتبة تاج	040-3334651	طنطا- أمام مسجد السيد البدوى
مكتبة قربة	040-3323495	طنطا- 9ش سعيد والمعتصم أمام كلية التجارة
كشك التحرير	01008935182	كفر الشيخ – شارع السودان أمام السنترال، أ/سامى أحمد عبد السلام
مكتبة صحافة الجامعة	01002285253	المنصورة – شارع جيهان بجوار مستشفى الطوارىء أ/عماد سليمان
مكتبة الرحمة المهداة	01001421469	المنصورة، عزبة عقل، ش الهادى، أ/عاطف وفدى
مكتبة صحافة الثانوية	01005731550	المنصورة- شارع الثانوية بجوار مدرسة ابن لقمان، الحاج كمال الدين أحمد
صحافة أخبار اليوم الحاج محمد الأترنى	01224917744	طلخا – المنصورة- بجوار مدرسة صلاح سالم التجارية، أمام كوبرى طلخا
مكتبة الإيمان	01226468090	فايد- أ حماده غزالى بربرى
كشك الصحافة	01227960409	السويس،ش الشهداء، ح حسن محمد خيرى
أولاد عبدالفتاح السمان	093-2327599	سوهاج- شارع احمد عرابى أمام التكوين المهنى
كشك أبو الحسن	01069518616	قنا- أمام مسجد سيدي عبد الرحيم القناوى
كشك القرايا- إسنا	01008698664	القرايا- إسنا – ش السيدة زينب- الحاج محمد الريس والأستاذ محمد رمضان محمد النوبى
كشك حسنى بإسنا	01111491823	كشك حسنى محمد عبد العاطى المنسى أمام مستشفى الرمد بإسنا – الأقصر

أيضاً بدور الأهرام والجمهورية والأخبار والمكتبات الكبرى الأخرى بأنحاء الجمهورية. ويمكن أيضاً قراءة الكتب وتنزيل نسخة الطباعة مجانا من موقع الشيخ www.fawzyabuzeid.com وهى أيضاً على أكبر موقع للكتاب العربى www.askzad.com، أوطلبها من الناشر: دار الإيمان والحياة،□□□ شارع □□□ حدائق المعادي بالقاهرة،

الفهرس


أنتظرونا مع الكتب القادمة إن شاء الله . .
صيام المتقين
تفسير آيات المقربين